

لَهُ كَلَّا لَهُ شَيْءٌ

رَحْمَةُ الْمَسِّمَاءِ السَّابِعَةِ



علي بن جابر الفيتفي

الطباطبائي

دار الحصان للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإِهْدَاءُ

إلى التي قالت لي ذات ليلة،
وأنا في السابعة من عمري:
هل صلحت العشاء؟
فقلت لها - كاذبًا - نعم!
فنظرت إلى نظرة شَكٍّ، وقالت: قل ما شئت ..
ولكنه قد رأك!
فأفرزعني «قد رأك» هذه ..
وجعلتني أنهض لأصلي .. رغم ادعائي الكاذب!

إلى أمي ..

لأنك الله .. لا خوف ولا قلق
ولا غروب .. ولا ليل .. ولا شفق
لأنك الله .. قلبي كلّه أملٌ
لأنك الله .. روحي ملؤها الألقُ

مُقَدِّمة

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وصحابه ومن
والآله .. وبعد

فهذه كلمات عن بعض أسماء الله، كتبتها بضعفني عن
القوى سبحانه، وبعجزي عن القدير سبحانه، وبجهلي عن العليم
سبحانه ..

حرضت أن أجعلها مما يفهمه متوسط الثقافة، ويستطيع
قراءته المريض على سريره، والحزين بين دموعه، والمحتاج
وسط كروبه ..

لديّ يقين أن تعلق القلب بالله، وعلمه به، ومراقبته له،
وحبه وخوفه ورجاءه، كما أنه سر سعادة الآخرة، فإنه سر سعادة
الدنيا كذلك، وأن مرحلة الأحزان والوساوس والكروب ستنتهي
 تماماً إن وجه العبد بوصلة اهتمامه إلى الذي لم يخلقه إلا لعبادته ..

وباب أسماء الله الحسنى باب إيمانى عظيم ، يدخل العبد
من خلاله إلى عالم قدسي خاص ، يجعل النفس تسجد تعظيمًا ،
والروح تتبتّل خشوعاً وحباً ..

أردت من هذا الكتاب الدلالة على الله سبحانه ، والإشارة
إليه بالقليل مما لديه ، وتذكير نفسي وإخواني بأنه على كل شيء
قدير ، وأن فضله كبير ، وأنه سبحانه السميع البصير ..

وأردت أن أربت بهذه الكلمات على أكتاف أتعبتها
الأوجاع ، وأمسح بها على رؤوس صدّعاتها الآلام ، أردت أن
أواري بأحرف الدموع ، وأن أطفئ لهيب الضلوع ..

إننا بدون معرفة أسماء الله في صحراء تائهون ، تبدد أيامنا
في لهيب تلك الصحراء ، ودوامة كثبان القلق النفسي ..

اختر الله: معرفة ، وإيماناً ، ويقيناً ، وعبادة ، وخضوعاً ، ثم
أنساً ، وسعادة ، وهناء ..

أو اختر التيه ، والضياع ، والاختناق ، والشعور بالكآبة ،
والتمزق النفسي ..

لا أدّعي في هذا الكتاب إحاطة ولا علمًا ولا سبقًا ، الذي
أدعية هو العجز والتقصير والافتقار إلى عفوه سبحانه وتجاوزه ..

فإن كان في هذا الكتاب من خير فأسأل الله أن يشيعه بين
الناس، وإن كان غير ذلك فقد علم سبحانه كل التقشير الذي
عندى، وقد علمتُ بعض العفو الذي عنده ..
أسأل الله صلاح النية، وأن يغفر ما قد ينذر به القلم،
أو يخطئ به الفواد ..
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد .. وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين ..

كـلـمـة عـلـي جـابـر الفـيفـي

١٤٣٧ / ٧ / ٢٧

الحمد

لا يستطيع العالم كله أن يمسك بسوء لم يرده الله ..

ولا يستطيع العالم كله أن يدفع عنك سوءاً قدّره الله ..

الصمد

إذا كان الضعف قد بني حولك سجنا ضيقا لا تستطيع
الخروج منه!
إذا حاصرتك الحاجات، وداهمتك الخطوب، والتفت من
حولك الهموم، وأخذت روحك في الهرب إلى المجهول! فأنت
ساعتها بحاجة إلى أن تصمد إليه ..
اسم الله «الصمد» سيمدك بكل ما تحتاجه لتكون قويا في
هذه الحياة، وتجابه واقعك بشموخ، وتتجاوز عقدك بعزيمة!
ابدا مع الصمد عهدا جديدا، ثم ثق أنّ الغد سيكون أفضل
من اليوم .. ويكثر !!

■ في ظلال الصَّمْدَيَّة

الصمد اسم كما ترى بالغ الهيبة، قوي الحروف، شامخ
المعنى، قليل الورود والذكر، ذو جلالة خاصة.
وكأن الصمود له سبحانه أهم تجليات الإخلاص في

العبادة، فمَنْ أَكْثَرَ مِنْ استحضارِ معنى الإخلاص في عباداته،
أَكْسَبَ قلبه صفة الرضوخ إلى مولاه والصمود له وعدم الالتجاء
إِلَّا إِلَيْهِ.

وَهَا نَحْنُ نَدْلُفُ إِلَى عَالَمِ الصَّمْدَيَةِ لِنَسْتَلِمُ شَيْئًا مِنْ معانِي
الصَّمْدِ:

الصَّمْدُ هُوَ مَنْ تَصْمِدُ إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ، أَيْ تَلْجَأُ إِلَيْهِ، هَذَا مِنْ
أَجْلِّ معانِي هَذَا الاسمِ، لِذَلِكَ فَسُوفَ نُطْوَّفُ بِهِذَا الْمَعْنَى ..

الصَّمْدُ هُوَ الْمَقْصُودُ فِي الرَّغَائِبِ، الْمُسْتَغَاثُ بِهِ عِنْدِ
الْمَصَابِ، وَالْمَفْزُوعُ إِلَيْهِ وَقْتُ النَّوَابِ.

جاء ذِكرُهُ فِي سُورَةِ سُورَ المَصْحَفِ، وَمِنْ أَقْصَرِهَا، وَهِيَ سُورَةُ الْإِلْخَاصِ الَّتِي تَعْدُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ﴾

يحتاجُ الْمُخْلوقُ إِلَى نَصْرٍ فَيَقُولُ: يَا اللَّهُ ..

يحتاجُ إِلَى إِعَانَةٍ فَيَقُولُ: يَا اللَّهُ ..

يحتاجُ إِلَى حَفْظٍ فَيَقُولُ: يَا اللَّهُ ..

يحتاجُ إِلَى هَدَايَةٍ فَيَقُولُ: يَا اللَّهُ ..

يحتاجُ إِلَى لَطْفٍ فَيَقُولُ: يَا اللَّهُ ..

■ أمواج ..

أحاطك بالاحتياجات لتحيط نفسك بأسمائه وصفاته، وهذا
معنى الصمدية.

في كل لحظات حياتك أنت بحاجة إليه، فإن لم ترجع إليه
اختياراً رجعت إليه اضطراراً .

المزارع إذا تأخر وقت الحصاد، وقد تعاظمت حاجته
للنهر، وصار الماء شحيحاً، نظر إلى السماء وقال: يا الله!
ركاب السفينة إذا تلاطم بهم الأمواج، وزعزعت فكرة
الموت طمأنينة الحياة في نفوسهم قالوا: يا الله!

إذا أعلن قائد الطائرة أن عجلاتها رفضت التحرك ولذلك
فسيأخذ جولة على المطار إلى أن تُحل المشكلة، ينسى ركاب
الطائرة كل الشخصيات المهمة، ولا يتذكرون إلا الذي بيده
ملوكوت كل شيء وهو يجبر ولا يجار عليه.

وعيناك على رسام القلب، تنظر إلى تلك الخطوط المتعرجـة
ومريضك تخفـت أنفاسـه، وتتضـاءل نبضـاته، وتـلك الخطـوط تـأخذ
قليـلاً قليـلاً في الهـبوـط، لـحظـتها تـنسـي اسـمـ المـمرـضـةـ، ويـتبـخـرـ منـ
رأـسـكـ وجهـ الطـيـبـ وـتـقـولـ فيـ رـجـاءـ: ياـ اللهـ كـنـ معـهـ!

■ أفكار الزيف

جاءَ شِيْخُ أَغْرَابِيٍّ اسْمُهُ الْحُصَيْنُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ: كَمْ تَعْبُدُ يَا حُصَيْنُ؟ فَقَالَ: سَبْعَةُ، سِتَّةُ فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدٌ فِي السَّمَاءِ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ لِرَهْبِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ مَنْ لِرَغْبِكَ؟ قَالَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَتُرُكُ الَّذِينَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، فَأَسْلَمَ الْحُصَيْنُ^(١)!

لقد اقتنع بسبب معنى الصمدية، لأن من تصمد إليه وقت الرهبة والرغبة هو وحده من يستحق أن تسجد له!

إن الإيمان أسهل فكرة في الوجود، لا تحتاج إلى كتب، ولا إلى فلسفة، ولا إلى سير وتقسيم، هي كلمة قلها ياخلاص، ثم اتركها لتشتت أفكار الزيف ..

يختصر القرآن ذلك فيقول: ﴿فُلِّ الَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾

كلمة «الله» وحدها .. كفيلة بإسكات أكبر أكاذيب الحياة .. في عمق كل إنسان، وداخل كل خلية، وحول كل شريان أشياء تعرف الله جيداً، وتسجد له، وتسبّحه ..

(١) أخرجه الترمذى فى سننه (٤٥٢/١٢-٣٨٢٠).

إن الكافر وهو كافر إذا سمع القرآن يخضع ..
ومن قصص السيرة الشهيرة أن رسول الله ﷺ قرأ سورة
النجم على مشركي مكة في المسجد الحرام، وما إن انتهى حتى
سجدوا .. كلهم سجدوا .. حتى أولئك الذين طردوه وأذوه
وخططوا لاغتياله سجدوا!
تلك الأشياء التي في خلایاهم وشرايينهم تفجّرت فيها طاقة
إيمانية رهيبة فجعلتهم يخرّون للأذقان سجّدا ..

■ الكواكب

خلق في نفوس عباده حاجة إلى حبه سبحانه!
هناك نوع من الحب المقدس في قلوب العباد لا يشعه إلا
الانحناء له، والطواف بيته، والوقوف بين يديه، والقيام من النوم
لأجله، وبذل المهج في سبيله.
الحياة بكل تجلياتها همس يقول لك: الذي تبحث عنه على
عرشه يسمعك ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي﴾ ..
امرأة يخلو بها فاجر في إحدى الخلوات فيراودها عن
نفسها، ولكنها تأبى! فيقول حاثاً لها: لا يرانا إلا الكواكب،
فتردّ بشموخ: فأين مكوكيها؟

أين الله؟!

إنه قلب صامد إلى الله، يراقبه، متيقن أنه على خير سميع
بصير محيط!

وصمودك إليه بقلبك تماماً كصمود المصلي إلى الكعبة
ليصلني إليها!

هكذا يجب أن يكون القلب، يوزع رغباته في كل
الاتجاهات لكن الاتجاه الأمامي يجب أن يكون لله فقط ..
ضع يمين قلبك ما شئت ويساره ما شئت، ولكن أمامة
لا تضع إلا مرضاه الله، إلا مراقبة الله، إلا حب الله.

■ وتنساه ..

إذا بحثت عن شيء فلم تجده فدعه، وانشغل بالله.
هو الذي جعل ذلك الشيء يضيع لتصمد إليه وتلتتجي،
لتقول: اللهم ردّ على ضالتي، فيردها! يريدها أن تنشغل به عن
 حاجتك، ولكنك تشغل بها، وتنساه!!

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام بالغ النفاسة في هذا
المعنى، فتأمله بقلبك، ثم اجعله بالقرب من أوجاعك، وكربك،
وحاجاتك، يقول:

«العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده طلب حاجته، وتفریج كرباته، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع، وإن كان ذلك من العبادة والطاعة، ثم يكون في أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب: من الرزق والنصر والعافية مطلقاً، ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الإيمان بالله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ومعرفته ومحبته، والتنعم بذكره ودعائه، ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدرًا عنده من تلك الحاجة التي همته، وهذا من رحمة الله بعباده، يسوقهم بال حاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية».

تنقطع الأمطار، وتصبح الدنيا قاحلة على عهد موسى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فيخرج هو وقومه وهم آلاف من الرجال والنساء والولدان، فيرى موسى نملة خرجت رافعة يديها إلى السماء صامدة إلى رب السحاب، فعلم موسى أن هذا الصمود، وهذا الذل لن يعقبه إلا هطول السماء بماء منهنر، فقال لقومه: ارجعوا فقد كُفِيتُم، فعادوا على صوت الرعد، ورذاذ المطر!

في طفولتي كنت أسمع دعاء لأحد القراء فيهزني: «اللهم أوقفنا مطايانا ببابك .. فلا تطردنا عن جنابك» هذا الإيقاف للمطاييا بباب الكريم هو معنى الصمد.

■ أصمد إليه ■

يجب أن تعلم أنه لو لم يأذن للدواء أن يؤدي مفعوله في جسدك لما ارتفع عنك ذلك المرض، فاصمد إليه أن يشفيك ..

يجب أن توقن أنه لو لم يصرف تلك السيارة المتهورة عنك لكتت الآن في عداد الموتى، فاصمد إليه أن يحفظك ..

يجب أن تتأكد أنه لو لم يحطك برعايته عندما ركبت البحر، لكتت الآن طعمًا لأسماك المحيط، فاصمد إليه أن يكون معك ..

ولهذا تصمد إليه لترتاح، ليهدأ لهاشك، لأنك بدونه تركض وتلهث وتتوتر.

أنصت إلى أولئك الذين تبعث بهم سفينه، أو يرون الموت وهو مقبل عليهم، وتعصف بهم رياح التقلبات سوف تسمعهم بجميع أديانهم يلهجون باسمه: يا الله!

﴿هُوَ الَّذِي يُسَرِّعُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُثِرَ فِي الْأَنْهَارِ وَجَرَّيْنِ
بِهِمْ بِرِيحٍ طَيْبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمْ الْمُؤْجَجُ مِنْ كُلِّ
مَكَانٍ وَكَثُرُوا أَهْمَمُهُمْ أُحْيَطَ بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَيْسُوا
هَذِهِهِ لَنْكُونَنَّ مِنَ الْشَّاكِرِينَ﴾.

جعل في داخلك حاجة لأن تقول اسمه، هناك أمن يعم

كيانك إن قلت يا الله، فإذا لم تقلها اختياراً، قلتها اضطراراً،
 وإن لم تذكرها إيماناً، ذكرتها قهراً، وإذا لم تكن كلمتك في
الرخاء، كانت صرختك في الشدة!

■ البوصلة

لماذا ننتظر جائحة تردننا إليها؟ ومصيبة تذكينا باسمه؟ وكاثرة
نعود بها إلى المسجد؟
ألا يستحق أن نخضع ونلتजء إليه دون جوائح وكوارث
ومصائب؟

هل كل ما أعطانا إياه من حياة وصحة وإيمان وأمان
وسعادة قليل حتى لا ننكّس رؤوسنا إليه إلا بليلة تنسينا كل
أوهامنا، ولا يبقى في عقولنا معها إلا الله!
عَدَّلْ بِوَصْلَةِ قَلْبِكَ بِاتِّجَاهِهِ ثُمَّ سَرَّ إِلَيْهِ وَلَوْ حَبَّا عَلَى
رَكْبَتِكَ، سَتَصْلِي «فَإِنَّمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ»
إذا التجأت لفلان من الناس صباحاً قد يغلق بابه دونك في
المساء.
إذا نصرك على زيد قد لا ينصرك على عمرو.
إذا أعطاك اليوم فسوف يمنعك في الغد.

أما الله .. فلا!

﴿هُوَ الْحَقُّ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ فَكَادُوا﴾

يعطي بالليل والنهار، ينصرك على الجميع إن كنت مظلوماً،
لا يغلق بابه، يده سحاء الليل والنهار، أكرم الأكرمين، لذلك
تصمد إليه كل الخلائق، فإذا جربت أن تصمد إلى غيره في حاجة
رجعت خائباً، ولا بد!

إذا طلبت غيره قد لا يجيبك، أو قد يجيئك ولكن يتأخر في
تلبية طلبك، أو يليه ولكن ناقصاً، أو يليه كاملاً ولكن مع ملعقة
إهانة، وقد لا يهينك ولكن نفسك تنكسر له ..

■ فرّغ قلبك من غيره

دخلت قديماً مكتب وكيل إحدى الجامعات وقد كتبت له
معروضاً في شأن من شؤون دراستي، ثم شرحت له بعض
التفاصيل فقال لي: لا تكثر (هرج)!

الناس لا يريدونك أن تكثر من الهرج! ولكن الله يحبك إن
كثرت من الهرج بين يديه! فهو يحب العبد اللوح في الدعاء ..
فلم اذا تشكو لغيره وتتركه؟

يقول النبي ﷺ لابن عباس: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ»^(١)
 مادام أن هناك حاجة تستحق السؤال؛ فليكن الله هو من تسأله!
 أعجبتني مقوله نقلها أبو حامد الغزالى عن أحد العارفين
 يقول فيها عن اسم الله الأعظم: فرَغْ قلبك من غيره ثم ادعه بأى
 اسم يجبك ..

وهذا فحوى معنى الصمد، اجعل في قلبك الله، ثم قل أى
 شيء من مرضاته سيكون إلهي المسحة، ورباني الصبغة ..
 كل عارض يعرض إنما هو رسالة تقول لك: لديك رب
 فالتجئ إليه ..

المرض رسالة لتذلل له ..
 والفقير برقية لتسجد له ..
 والضعف مكالمة تقول لك استجلب القوة من القوي ..
 الحياة كلها تصرخ في وجهك: لديك رب، اصمد إليه!
 وفي حديث ابن عباس سالف الذكر يقول المصطفى ﷺ:
 «اَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظُكَ اَحْفَظْ اللَّهَ تَحْذِهُ تُجَاهَكَ»^(٢)
 ! أماك!

(١) أخرجه الترمذى في سنته (٤٢٥١-٤٦٦).

(٢) أخرجه الترمذى في سنته (٤٢٥١-٤٦٦).

احفظه في نفسك وجوارحك وخطراتك، سيكون أمامك
بحفظه ومعيّته ونصرته.

الصمد لا تهداً قلوب خلقه حتى تضع زواداتها عند عتبة
.. ملكه

■ خطوات ■

انظر في أي اتجاه شئت، ولكن اجعل في قلبك عينين
لا تنظران إلا إلى عظمته!

تحدث بكل ما تريده، ولكن اجعل في قلبك لساناً لا ينطق
إلا بذكره!

استمع إلى الجميع، ولكن اصنع في قلبك سمعاً لا يدرك
إلا كلامه!

امش إلى حيث شئت، ولكن احفر في قلبك خطوات
نهايتها عرش الملك!

اصمد إليه بقلبك وروحك وتفكيرك وجسدك وإراداتك
وأحلامك وأوهامك ..

إذا أمسكت قلماً فتساءل: هل يرضي سبحانه عما سأكتب به
في هذه الورقة؟

إذا هممت بكلمة تقولها فتساءل: هل سأقول شيئاً يرضيه؟
إذا وقفت موقفاً تسأله: هل موقفي هذا محبوب عنده
أم لا؟

اصنع منبئها وعلّقه في أعلى قلبك دقاته تقول:
ماذا يريد الله؟ ماذا يريد الله؟ ماذا يريد الله؟
اصمد إليه في كل حين، وإذا ما استيقظت في نصف الليل
فتذكريه، خيالاتكسوداء إذا لم تتذكريه، عقلك خراب دون أن
يمرّ اسمه على خطراتك، أحلامك مستنقعات فإذا جاء ذكر الحي
الذي لا يموت عليها صارت أنهاراً وأشجاراً وعصافير شادية.

■ شموخ ..

إذا علمت روحك الصمود إليه، فإنّها مع الزمن ستستحي أن
تكثّر من الطلبات الدنيوية لأنّها ليست الحيز الذي خلقك له، كل
آمالك أخروية ..

قال الخليفة لابن عمر وهو يطوف حول الكعبة سُلْطَنِي
يا ابن عمر، فنظر إليك بشموخ الصامد إلى الله وقال، من أمر
الدنيا أم الآخرة؟ فقال أما الآخرة فللها ولكن من شؤون الدنيا،
فقال: لم أسأل الدنيا من يملكها فكيف أأسّلها من لا يملكها؟!

الصمود لله يحولك إلى عظيم، لا يبالي بملك التراب ..

الدنيا تخصص لا يقبل عليه الصامدون لله ..

قال أمير لابن تيمية، سمعنا أنك تريد ملكتنا يا ابن تيمية!

فرفع ابن تيمية رأسه بشموخ وقال: والله إن ملكك لا يساوي

عندى فلسرين!

رجل يعرض وجهه لله آناء الليل، كيف يذل لقطعة خزف

أطراف النهار؟

■ حقيقة ..

اللحظة التي تصمد فيها إليه لأجل حاجتك، هي نفسها

اللحظة التي تصبح حاجتك ملك يمينك!

لا عبور لأي رغبة إلا من طريق الله، لا وجود لأي حاجة

إلا في ساحة الله، لا إمكانية لحدوث شيء إلا بالله، فإنه وحده

الذي لا حول في الوجود ولا قوة إلا به.

لا يمكن لخلية أن تتحرّك ولا لذرة أن تكون ولا قطرة أن

تبخر ولا لورقة شجر أن تسقط إلا بحوله وقوته!

لا يستطيع العالم كله أن يمسك بسوء لم يرده الله،

ولا يستطيع العالم كله أن يدفع عنك سوءاً قدّره الله!

إذن فاجعل وجهك إليه، وألجم ظهرك إليه، وفُوّض أمرك
إليه ..

فهو الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ..
اللهم أصمد قلوبنا إليك، واجعلنا لا نطلب غيرك ولا نسأل
سواءك ولا نستغيث بأحد من خلقك يا الله ..



الحفيف

تتذكرة فائدة مانع الانزلاق ..

وفائدة كايج السرعة ..

وفائدة البالون الواقي ..

وفائدة حزام الأمان ..

وتننسى الله!

الحفيف

إذا شعرت أن حياتك في خطر، وأن المرض يهدد صحتك، أو كان ابنك بعيداً عنك وقد خشيت عليه من الضياع أو رفقاء السوء، وأن مالك الذي جمعته قد بات قاب قوسين أو أدنى من التبدد والتلف فاعلم أنك بحاجة إلى أن تعلم أن من أسماء ربك سبحانه «الحفيف» وأنه ينبغي عليك أن تجدد إيمانك بهذا الاسم العظيم، وأنه قد جاء الوقت المناسب لتفكر فيه وتأمل ..

فهو وحده من يحفظ حياتك، ويحفظ صحتك، ويحفظ أبناءك، ويحفظ مالك، ويحفظ كل شيء في هذه الحياة!

■ أيها القلب اطمئن ..

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: «الحفيف الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات».

متنهى الحفظ عنده، وغاية الرعاية لديه، وأقصى الطمأنينة
ستكون وأنت بمعيته.

يحفظ عبده؛ لذلك نقول دائمًا: اللهم احفظني من بين يدي
ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقني وأعوذ بعظمتك أن
أغتال من تحتي.

إِنَّكَ تَسْتَحْفِظُ اللَّهُ جَهَاتُكَ السَّتَّ، إِنَّكَ تَطْلُبُ مِنْهُ هَالَةً حَفْظًا
تَحْوِطُكَ مِنْ جَمِيعِ الْجَهَاتِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا هُوَ!
يحفظ سمعك وبصرك، لذلك ندعوه في الصباح والمساء
أَنَّ اللَّهَمَّ عافِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عافِي فِي بَصَرِي ..
ستفقد الجهاز الذي تستطيع به فهم هذا العالم إن فقدت
سمعك وبصرك، ستعيش في عزلة سوداء، ستختنق الدنيا
بضمتها!

﴿قُلْ أَرَأَيْتَ إِنَّ أَخْذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَّمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَّا
عِنْ أَنَّ اللَّهَ يَأْتِيْكُمْ بِهِ﴾

الحفيظ هو من يحفظ سمعك، الذي تسمع به الحرام، ولو
شاء لأذهب في لحظة.

ويحفظ بصرك الذي تنظر به للحرام، ولو شاء لأذهب في
لحظة.

يحفظ دينك، لذلك تناجيه في السجود أن: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك.

■ طرقات الزيف!

لو لم يثبت قلبك على دينه لتناوشتك الشبهات، وتخطفتك الأهواء!

علماء أثروا أعمارهم بين الكتب والمحابر لم يرد الله أن يحفظ عقائدهم: فكفروا به سبحانه، وبعضهم صار مبتداً في الدين، وأنت بعلمه القليل ما زلت تسجد له؟ لقد حفظ الحفيظ دينك!

عالم اسمه «عبد الله القصيمي» يؤلف كتاباً يدافع فيه عن دين الله اسمه «الصراع بين الإسلام والوثنية» قيل عنه -مبالغة- إنّه دفع به مهر الجنة! وأثنى عليه من منبر الحرم، ثم بعد ذلك بسنوات تطرق أصابع الزيف قلبه - والعياذ بالله - وتبدأ الشبهات تنسج حول أفكاره بيوت الشك! ثم تغدو المسلمات ممكناً، والحقائق آراء، وتحت تلك الشبهات ومن بين أكواخ الضلال يمسك قلمه ويؤلف كتاباً يهاجم فيه الإسلام اسمه: «هذا هي الأغلال»، يقول: إن دين الله آثار وأغلال وقيود! نعوذ بالله من الخذلان!

إن الحفيظ هو من يحفظ دينك، لا مجموعة المعلومات التي في رأسك! لا تفتر بعلمك، ولا بحفظك لكتاب الله، ولا باستظهارك لشيء من سنة النبي ﷺ، والله ستزيف إن لم يحفظ الله دينك!!

هذا «بلعام بن باعوراء» يؤتى الله اسمه الأعظم، ليدعوه في أي وقت فيستجيب له، فلا يحول هذا الاسم العظيم بينه وبين الزيف فيهلك في الحالين.

■ ونسى الله!

يحفظ حياتك، لذلك نستودعه سبحانه أحبّنا عندما نفارقهم ونقول: أستودعك الله الذي لا تضيع ودائمه! يستحيل أن تضيع الودائع التي أسبغ عليها الله حفظه وأحاطها برعايته. بكل حادث ينجو منه صاحبه وراءه حفيظ أنجاه منه، نذكر فائدة مانع الانزلاق، وفائدة كابح السرعة، وفائدة البالون الواقي، وفائدة حزام الأمان، ونسى الله!

إذا صفت الأمواج بعثوها السفينة، وبلغت القلوب الحناجر، من الذي يحفظ السفينة من أن يتلعلها المحيط؟رأيت تسجيلاً لسفينة تلعب بها الأمواج، كان منظر من في

السفينة وهم يندفعون بعنف من أقصاها إلى أقصاها مؤثرا،
لا يملكون شيئاً، حتى التفكير لا يستطيعونه، الشيء الوحيد
الممكّن بالنسبة لهم هو محاولة التشبّث بأي شيء.. ثم لما
انتقلت الكاميرات للخارج .. رأيت السفينة قشة صغيرة في وسط
الأمواج العاتية!

يعلن قائد الطائرة عن وجود عطل في الطائرة فتحوّل أولئك
الذين كان كل واحد منهم في فلك يسبح إلى مختفين، الكل
يلتجئ إلى الله ويعلن توبته، نسوا آمالهم وأحلامهم وهمومهم
وغمومهم وصار الموت هو كل ما يمكن لعقولهم أن تصوّره!!
من هو الذي أصلح العطل بقدرته كي تنزل الطائرة بسلام
ويخرج منها أولئك الذين حولهم الخوف إلى أشباح؟

تعرّضت طائرة كنت أحد ركابها إلى مطبات هوائية
شديدة، لحظتها فقط استشعرت وبدقّة كبيرة جرم الطائرة، وكيف
أنّها الآن في الجو تسبح فوق صحراء ممتدة، شعرت بشيء
فوق الخوف، كيف كنت غافلاً طوال الرحلات التي ركبت فيها
الطائرة عن هذه الصورة المفزعة لهذا الجرم الذي يتحرّك في
الجو بقدرة الله!

ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا
فإن وصلنا إلى الشاطي عصيناً

ونركب الجوّ في أمن وفي دعة
فما سقطنا لأن الحافظ الله



■ المعقبات

يقول تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبٌ مَنْ بَيْنَ يَدَيهِ وَمَنْ خَلْفِهِ، يَحْفَظُونَهُ مَنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

لأجلك أنت يأمر الحفيظ سبحانه أربعة ملائكة أن يحيطوا بك حتى يحفظوك بأمره من كل ما لم يقدّره عليك.

كيف لا يكون حفيظا وقد أوكل بك هذا العدد من ملائكته الكرام حتى يصدّوا عنك أي طلقة لم يشاً سبحانه أن تخترق جسدك، وأي صخرة لم يرد سبحانه أن تنهي حياتك، بل وأي بعوضة لم يشاً سبحانه أن تؤذني بشرتك!

شاهدت وينهول المقطوع الذي تظهر فيه حادثة محاولة اغتيال الشيخ عائض القرني في الفلبين، وكيف أن المجرم وجّه إلى صدر الشيخ عائض ست رصاصات من مسافة متراً تقربياً، ولا حائل بين الطلقات والشيخ، والقاتل يبدو أنه محترف، ولا توجد مقاومة من الشيخ أو من مرافقيه .. ثم يخرج الشيخ

من تلك المحاولة الآثمة سليمًا معافي!! وأتذكر كيف أن طلقة واحدة ومن مسافة بعيدة، أودت بحياة الرئيس الأمريكي جون كندي مع أن سيارته كانت تتحرّك، وحوله الحرس والجنود! ثم يعلن الشيخ أنه كان قد ذكر الله، وحضر نفسه بالأدعية! هذه الحادثة درس متكمّل بل كتاب من عدّة أجزاء في معنى اسم «الحفيف»!

■ ما بين القوسين ..
أتعلم أنه يحفظك في كل لحظة؟
بل في كل لحظة يحفظك مئات المرات!!
كيف؟

في هذه اللحظة التي تقرأ فيها (ما بين القوسين) حفظ قلبك من التوقف، وشرابينك من الانسداد، وعقلك من الجنون، وكليتك من الفشل، وأعصابك من التلف، ورأسك من الصداع، ومعدتك من القرحة، وأمعاءك من التهاب القولون، وأعضائك من الشلل، وعينيك من العمى، وسمعاك من الصمم، ولسانك من الخرس، كل هذا وأكثر حفظه في هذه اللحظة، ثم يستمر هذا الحفظ في اللحظة التي تليها، وهكذا ..

فكم «الحمد لله» ينبغي أن نقولها في اللحظة الواحدة؟

■ قارورة ..

إذا أوقفت سيارتك في مكان مظلم وخشيت عليها أيدي السرّاق فاستحفظها الحفيظ، فلن يضيع سبحانه ما استحفظته عليه.

إذا خرجت من بيتك وخشيت على أطفالك فقل:
أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائمه، ستعود -بإذن الله- وهم في أحسن حال، لأنّه الحفيظ!

إذا الجأتك الظروف أن ترك شيئاً ثميناً في مكان عام أو مكان غير آمن فانزح بقلبك إليه وقل: اللهم احفظه، وثق أنّ عين الله ستتكلّه إلى أن تعود.

أربعة من الأصدقاء ذهبوا إلى مكان يبعد عن تبوك ستين كيلـاً اسمه «نعمـة رـيط» ثم هبطوا الساعة التاسـعة صباحـاً سـائرين على أقدامـهم إلى مكان يـسمـى الشـق! والـشق هـذا شـرـخ عـظـيم في قـشـرة الـأـرـض، الـهـبوـط إـلـيـه مـغـامـرة، بل مـجاـزـفة بـالـحـيـاة!

حبـّـهم لــالمـغـامـرة جــعـلــهـم يــنـزــلــونــ، وــصــلــوــا إــلــى القــاعــ فــي نــصــف ساعــة تقــريــباً، ثم مــكــثــوــا إــلــى قــرــيبــ من المــغــرــبــ فــي مــحاــوــلــة الصــعــود

إلى السطح! تعلقوا بالصخور، تزحلقت بهم الانحناءات
الملساء، تهشمت الطبقات الصخرية تحت أقدامهم، عبروا من
أماكن ضيقّة لا تسع إلا لأصابع الأقدام!!

تبعوا، تشققت أرجلهم، أنهكوا تماماً، بلغ بهم العطش
مبلغاً عظيماً، باختصار: رأوا الموت!!

كانت قلوبهم معلقة بالله، كانوا متيقنين أن لا حافظ إلا
الله، يقول أحدهم (وبشهادة البقية) إنّه دعا الله بإلحاح وقد بلغ
به العطش حدّ تمني الموت، فإذا به، وفي مكان لا يمكن أن
يكون قد وطّته قدم إنسان في القريب على الأقل يرى قارورة ماء
صححة! نظيفة، فلم يفرح بالماء الذي تقاسمه مع رفاته، بل فرح
بالله الذي كان معه في تلك اللحظة، علم أن الله الذي أوجد
تلك القارورة في تلك اللحظة سيقتذهم من تلك الرحلة المميتة.
لم تعد القارورة في ذهنه ترمّز للنجاة من الموت، بل ترمّز
لحفظ الحفيظ سبحانه ..

وقييل المغرب وصلوا للسطح وأوجههم سوداء، وثيابهم
مشققة، والدماء تشعب من أرجلهم، وإيمانهم بالله بحجم تلك
الجبال التي أحاطت بهم!

سهرت أعين ونامت عيون
في شؤون تكون أو لا تكونُ

إن رّبّا كفاك ما كان بالأمس
سيكفيك في غد ما يكونُ



■ أعظم وأكثر وأكبر ■

ولاسم الحفيظ مع كل مخلوق قصّة، فهو لا يخلق خلقه ثم يتركهم، بل يمدّهم بالسلاح الذي يواجهون به مفاجآت الحياة، يعطي كل مخلوق سيفه الخاص ليخوض حرب الحياة:
فهو يحفظ بعض الحيوانات بقدرتها على الجري السريع كالغزال والأرنب ..

ويحفظ بعضها بقرون تقر بها بطن من يقترب منها بسوء مثل وحيد القرن والجاموس ..

ويحفظ بعضها بضخامة الجثة، فتدكّدك أعداءها بثقلها مثل الفيل والدب ..

وبعضها يجعل سلاحها الذي يحفظها به صعقاً كهربائياً تصيب من يلمسها مثل فانوس البحر!

وبعض الكائنات حفظها بسموم تكمن في أجسادها كالثعابين والعقارب!

ويحفظ الحرباء بأن جعلها تستطيع أن تغير لونها عند الحاجة!

ويحفظ بعضها بالطيران، وبعضها بالقدرة على المراوغة، والبعض بالتسليق ..

هذا شيء من حفظه، وما لا تعلمه البشرية من حفظه سبحانه أعظم وأكثر وأكبر!

■ يدافع عنك ..

ومن صور حفظ الله أنه سبحانه يدافع عن المؤمنين: ﴿إِنَّ
اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ..

تأمل: إنه لا يدفع عنهم الشر، بل يدافعي عنهم! وفي هذه الماحاة إلى ضرورة ما سيلاقونه وتعدد أشكاله وتنوع صوره، ولكن الله أعلم بما يوعي أعداؤه، فيدافعيهم ويصدّهم عن أحبابه.

وفي الحديث القديسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًا فَقَدْ آذَنْتُهُ
بِالحَرْبِ»^(١)! تخيل: حرباً بين عدو للدعوة وللحق وللدين، وبين الله!

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٠٢/٨-١٠٥).

من المتصر؟ من المهزوم؟ بل من المخدول؟
إنه لبعاده المؤمنين حفيظ، يحفظهم حفظا خاصاً، معه
الحب، والرعاية، والرحمة.

يتجمع مشركو قريش حول نgar في رجلان: محمد ﷺ وأبوبكر الصديق رضي الله عنه، والإغراءات المالية تدفعهم لقتلهم، معها الأحقاد الدفينة، والرغبة في حوزة وسام الظرف بأهم شخصية في تلك المدة ..

فيتسلل الخوف إلى فؤاد أبي بكر، فينظر إليه صاحبه العظيم ويقول: ما ظنك باثنين، الله ثالثهما؟

يا أبا بكر، هل تعتقد أننا اثنان؟ كلا، بل نحن ثلاثة!!

هنا تتشتت المخاوف، تزول الرعدة، يذوب التوجس:

وإذا العناية لاحظتك عيونها

نم فالمخاوف كلّهنْ أمان

ها هم فتية الكهف يلتجئون إليه ويسألونه الهدایة فيلجهنهم إلى كهف بلا باب، كهف مفتوح للبشر والهوام والسباع، ولكنه يريد حفظهم فيلقي عليهم أحد جنوده، إنه جندي الرعب!! فلا يقترب من الكهف أحد إلا وانتزع الرعب رغبته في التقدّم فتراه يهرب خائفا: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّتَ مِنْهُمْ فِرَاكَ وَلَمْلِسْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ..

أنا وأنت إذا أردنا أن نلقي شيئاً ألقينا قلماً، أو كتاباً،
أو صخرة، أما الله فيلقي فيما يلقي أشياء أهم وأغرب وأكبر ..
يقول سبحانه: ﴿سَأَلْقَى فِي قُلُوبِ الظَّنِينَ كَفَرُوا أَرْعَبٌ﴾
لأجل عباده وأوليائه يلقي بالرعب في قلوب الذين كفروا
فتنتفض أطرافهم فرقاً من أولياء الله!

■ وديان السباع

ويحفظك سبحانه بالملائكة، فمن قرأ آية الكرسي قبل أن
ينام أوكل الله به ملائكة يقوم على رأسه يحفظه مما لم يقدره الله
عليه.

تخشى من ماذا إذا كان الله معك؟

يجعلك هذا الاسم ترحب في أن ترفع صدرك إلى الأعلى
ثقة بالحي الذي لا يموت، تمشي في الظلم، تجوز وديان
السباع، تخوض مستنقعات التماسح، فالحفيف يحيطك بهالة
حفظ يجعل كل هذه الأشياء لعب أطفال تافهة.

نعم هذا لا ينافق أن تعمل بالأسباب، فقد أمرنا بذلك،
وعمل بها قدوتنا عليه الصلاة والسلام في هجرته ومحاربته وأيامه
كلها، ولكن يبقى السبب سبيلاً له قدره من الأهمية، ويبقى الله

في قلبك هو العليم، القدير، الحفيظ ..

من يقرأ قصة الشيخ عبد الرحمن السميط رحمه الله في سفره إلى
أفريقيا للدعوة ونشر الدين وكيف أنه خاض المستنقعات والوديان
الموحشة في مجاهل القارة السوداء، وجاع وعطش ومرض،
ومع ذلك لم يمسسه سوء، بل ظل خمساً وعشرين سنة في طريقه
اللاحب الذي اختاره لنفسه، ثم مات في الكويت على السرير!
من يقرأ قصة السميط يعرف معنى الحفيظ ..

ذكر البعض مما يستأنس به في هذا السياق مما لا نتحقق
دقتها ولكنّه ليس غريباً على عباد الله الصالحين: أن سعيد بن
جيبر أمسك به جنديان من جند الحاجاج، وبينما هم في الطريق
إذ نزلت الأمطار وألجمتهم إلى صومعة راهب، فرفض سعيد أن
يدخلها رفضاً قاطعاً ترثّها أن يلتج مكاناً يعبد فيه الله على
ضلاله، فتركاه في الأسفل وصعدا، فإذا بأسد يقترب من سعيد
فيصرخون به من الأعلى أن اهرب، فلا يحرك سعيد ساكناً بل
يظلّ في عالم من الذكر دافئاً، فيقترب الأسد أكثر، ثم يصل إلى
سعيد وكأنّه يهمس له همساً ثم ينصرف، والجنديان ينظران بخوف
والراهب ينظر بعين أخرى ويقول: هذا ولّي من أولياء الله!

خذوا كل دنياكم واتركوا

فؤادي حرا طليقاً غريباً

فإنني أعظمكم ثروة
وإن خلتموني وحيدا سليبا
من الذي جعل الأسد يتوقف في اللحظة الأخيرة، إنّه
الحفيف !

■ أنا الفقر

شاهدت في مقطع مرّ عن عبر اليوتيوب أحدّهم يمرّ من على سكة الحديد مشياً، والمشكلة أن القطار كان بكل قوّته قادماً، ولكنّ الرجل قدّر أنّه سيكون في الجهة الأخرى في الوقت المناسب، هذا هو تقديره ..

فجأة تعلق رجله بين حديد السكة، يحاول أن ينزعها فلا يستطيع والقطار مقبل بسرعة جبارة، وصوته يملأ ذلك المكان بربّع الموت، والرجل يحاول بهلع، يكاد أن يموت قبل أن يصله الموت! ولما تكون المسافة بينه وبين القطار أمّتاراً يأذن الله لحديد السكة أن يفسح لرجله المجال فتخرج وينتقل إلى الجهة الأخرى في ومضة كان جزء منها سينهي حياته نهاية مأساوية!

ثق بضعفك، ثق بهزال رأيك، ثق بفكّرك، ثم اجعل قلبك معلقاً بالله، وردد:

أنا الفقير إلى رب البريات

أنا المُسيكين في مجموع حالاتي

نبي الله لوط عليه السلام يهجم قومه على بيته يريدون أن يخلعوا باب البيت وأن يظفروا بضيوفه، وهم ملائكة، ياله من عار أبدى أن يظفر فسقة قومك بضيوفك، فقال بكل ضعف: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كُمْ قُوَّةً أَوْ هَاوِيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ..

قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «بِرَحْمَةِ اللَّهِ لُوتًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ»^(١).

الزم يديك بحبل الله معتصماً

فإنما الركن إن خانتك أركان!

■ يا غلام ..

وقد يحفظك الله أيضا بأعدائك! كيف يكون ذلك؟
يقال إن لصا دخل إلى بيت، وأراد أن يسرق مالاً في إحدى
الغرف وقد كان فيها طفل وأبواه، فتسدل اللص إلى الغرفة وحمل
الطفل ونقله إلى غرفة أخرى فصرخ الطفل فاستيقظ الوالدان
مبهوتين، وتساءلا ما الذي أخرج طفلهما فخرجا يبحثان عنه في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٣٧٢-٤٤٧)، ومسلم في صحيحه (١٥١-١٣٣).

المتزل، استغل اللص تلك اللحظة ودخل غرفة الأبوين لسرقتها،
فجأة انهار سقف الغرفة ودفن اللص!

ما الذي جاء باللص لينقذ تلك الأسرة من الموت تحت
الأنقاض بحيلة كانت عليه لا له! إِنَّهُ الْحَفِظُ الَّذِي يَحْفَظُ عِبَادَهُ،
يَحْفَظُهُمْ حَتَّىٰ بِأَعْدَائِهِمْ!

ومن أعظم الأسباب التي تستجلب بها حفظ الحفيظ سبحانه
أن تحفظه!

أعد وتأمل قراءة حديث: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ:
اْحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، اْحْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهِلَكَ، تَعْرَفُ إِلَى اللَّهِ فِي
الرَّحَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ»^(١)

احفظ الله، يحفظك الله ..

احفظه في أوامره فقم بها كما أمرك
واحفظه في نواهيه فانته عنها كما نهاك

(١) أخرجه الترمذى في كتاب صفة القيامة والرائق والورع (٢٥١٦)، وقال: «حسن
صحيح»، وأحمد في «مسنده» (٢٦٦٤)، وصححه الشيخ الألبانى في كتاب «التوسل»
. (٣٥)

■ اختناق

هذا كل ما في الباب، وبعد ذلك اشمخ على مخاوفك وأحزانك، سينجيك الله منها كما أنجى ذا النون بن متى .
لا هم ولا غم ولا كرب يقارب هم وغم وكرب ذي النون
يونس عليه السلام، في ظلمات ثلاث: ظلمة البحر، وظلمة الليل،
وظلمة بطن الحوت، يا لها من حياة بئسها تلك التي ستقضيها إلى
أبد الآبدية في بطن الحوت على تلك الهيئة الكثئية ..
ظلم، ضيق، اختناق ..

ثم يواجه ذلك السيل من الكروب بكلمة واحدة: «لا إله إلا
أنت سبحانك إني كنت من الظالمين».

فتتصعد تلك الأحرف الضعيفة، تخترق ظلمة الحوت،
وظلمة البحر، وظلمة الليل، تصعد إلى السماء، يُروي أن
الملائكة سمعتها فقالت: يا رب، صوت معروف من مكان غير
المعروف!

فيجيء الفرج، ويجيء الحفظ، ويجيء العفو، فيلقيه
الحوت بالساحل، وينبت عليه الحفيظ شجرة من يقطين.
كلنا في هذه الحياة ذو النون، والحياة قد التأمت علينا

بكر وبها، ولن ننجينا منها إلا : «لا إله إلا أنت سبحانك، إني
كنت من الظالمين» ..

اللهم احفظنا بحفظك، واكلاًنا برعايتك، واجعل من بين
أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائنا ومن فوقنا ومن تحتنا
حفظاً منك تنجينا به مما نخشى ونحذر ..



اللَّطِيفُ

إذا أراد اللطيف أن يصرف عنك السوء
جعلك لا ترى السوء، أو جعل السوء لا يعرف لك طریقاً،
أو جعلكما تلتقيان وتنتصران عن بعضكما وما مسّك منه شيء!

اللطيف

هل لديك أمانٍ بعيدة المنال، بينك وبينها أحوال؟
هل أخبرك الأطباء أن لا أمل في شفاء قريبك؟
هل تشعر باليأس لأن ما يمكنك أن تفعله لن يأتي إليك بما
تمنى حصوله؟

إذن تعال معي لتعرف إلى اسم الله «اللطيف» والذي
ستكتشف إذا ما تأملته أن لا مستحيل في هذه الحياة، وأن الله
 قادر على كل شيء، وأن أحلامك المستحيلة ستغدو ممكنة
 التتحقق إذا ما طرقت باب اللطيف!

■ خفي الألطاف

في اللغة: «اللطيف»: البر بعباده، المحسن إلى خلقه بإيصال
المنافع إليهم برفق ولطف»، وتقول «لطف الله لك: أوصلك إليك
 مرادك بلطف»

واللطف أصله خفاء المسلوك ودقة المذهب ..

فلن يوصل إليك إحسانه برفق إلا من يصل علمه إلى دقائق
الأمور وخفايا النقوس ..

فالله سبحانه «هو المحسن إلى عباده في خفاء وستر من
حيث لا يعلمون، ويسبب لهم أسباب معيشتهم من حيث
لا يحتسبون»

فهو ذو لطف وخفاء ودقة في إكرامه وإحسانه، وفي عصمه
وهدايته، وفي تقاديره وتصاريفه.

فمع بالغ قدرته، وعظمته علمه، وبصره بمخلوقاته، إلا أنه
ذو لطف فيما يحوط به العبد من هداية وإكرام وإحسان،
لما تفجؤك أفضاله بل يسبقها برياح البشرى، وييهىء قلبك
لاستقبالها، ثم إذا نزلت بك الأفضال جعل لها من الأسباب التي
تسبقها ما تكون بها ممهدة الوقع، وكأنها من محض كسب العبد
وهي على الحقيقة إكرام بحث من عظيم المن والعطاء.

وتأتي بلطفه عظام المقادير والتي تستبعد أكثر العقول خيالاً
وقوعها؛ فيجعلها كائنة حاضرة، كل خيط من ذلك المقدار يمسك
به قدر من لطفه، فلا تنتبه إلا -ويقرب من المعجزات- قد بات
بساحتك! لا تعلم كيف أمكنه أن يحدث، وتتيقن أنَّ حولك
وقوتك أقل من أن تُحدِّثه، فتنظر إلى السماء وتقول: ﴿الله لطيفٌ
بعباده﴾.

■ نسيم اللطف

إذا أراد اللطيف أن ينصرك أمر ما لا يكون سبباً في العادة
فكان أعظم الأسباب!
وإذا أراد اللطيف أن يكرمك جعل من لا ترجو الخير منه
هو سبب أعظم العطايا التي تنالك!

وإذا أراد اللطيف أن يصرف عنك السوء جعلك لا ترى
السوء، أو جعل السوء لا يعرف لك طريقاً، أو جعلكما تلتقيان
وتنصرفان عن بعضكما وما مسّك منه شيء!

وإذا أراد اللطيف أن يعصمك من معصية جعلك تتغضّها،
أو جعلها صعبة المنال منك، أو أوحشك منها، أو جعلك تقدم
عليها فيعرض لك عارض يصرفك به عنها!

وعباد الله يرقبون تلك الألطاف من اللطيف، ويتصرونها
بيصائرهم وكأنّ كل قضاء ينالهم به بصمة لطف يدركونها
وحدهم.

عندما أراد اللطيف أن يُخرج يوسف عليه السلام من السجن، لم
يدرك جدران السجن، لم يأمر ملائكة أن ينزع الحياة من أجسام
الظلمة، لم يأذن لصاعقة من السماء أن تقلع القفل الحديدي،

فقط جعل الملك يرى رؤيا في المنام تكون سبباً خفياً لطيفاً
يُستنقذ به يوسف الصديق من أصفاد الظلم!

ولما شاء اللطيف أن يعيد موسى عليه السلام إلى أمّه لم يجعل
حربياً تقوم بيتزعمها ثوار بني إسرائيل ضد طغيان فرعون يعود
بعدها المظلومون إلى سابق عهدهم، لا .. بل جعل فم موسى
لا يستسنيح حليب المرضعات! بهذا الأمر الخفي يعود موسى إلى
أمّه بعد أن صار فؤادها فارغاً!

ولما شاء اللطيف أن يخرج رسولنا عليه الصلاة والسلام
ومن معه من عذابات شعب بني هاشم لم يرسل صيحة تزلزل
ظلم قريش، فقط أرسل الأرضة تأكل أطراف وثيقة الظلم
وعبارات التحالف الخبيث! فيصبحون وقد تكسرت من الظلم
العُرُى، بحشرة لا تكاد ترى !!

لغيرك ما مددت يدا
وغيرك لا يفِيض ندى
وليس يضيق ببابك بي
فكيف ترد من قصدا
وركنك لم يزل صمدا
فكيف تذود من وردا
ولطفك يا خفي اللطف
إن عادي (الشّرور) عدا

إنه اللطيف سبحانه، بأيسر الأمور يقدر أعظم المقادير،
وتتم إرادته على ما شاء، وعده غير مدرك بأن شيئاً ما يحدث!

■ الصخرة

تندم فيحب أن تقوم تصلي بين يديه، فيرسل ريحًا هادئاً
تحرك نافذتك، أو طفلاً من أسرتك يمرّ ويحدث ضوضاء بجوار
غرفتك، أو حاجة شديدة في شرب شيء من الماء؛ فتستيقظ
وتنظر إلى الساعة، وبعد دقائق تكون واقفاً على السجادة تناجيه
ولا تعلم أنه هو من أيقظك!

تقود سيارتك في مرفعات الجبال ثم فجأة ترى من
الضرورة أن توقف سيارتك جانباً لتأكد من وجود شيء في درج
السيارة (هوينك أو محفظة نقودك) وبعد ثوانٍ ترى أمامك صخرة
عظيمة هابطة من أعلى الجبل لو لم تقف لدكتك وسيارتك!
فتكمel رحلتك سالماً، ولا تعلم أنه هو من أنقذك!

تخطط لمعصيته، تخرج ليلاً، تفاصيل الخطة محكمة، فجأة
تمر سيارة من بعيد، فتشك أنت أن أحدهم يراقبك، فتنغمس تلك
السيارة المارة فكرة الذنب لديك؛ فتبعد إرادتك وتعود إلى بيتك،
ولا تعلم أنه هو من صرفك بلطفه عن معصيته!

وَكِمْ لِلَّهِ مِنْ لَطْفٍ خَفِيٍّ
يَلْقَى خُفَاءَ عَنْ فَهْمِ الْذَّكْرِ
وَكِمْ أَمْرٌ تَسَاءَ بِهِ صَبَاحًا
فَتَأْتِيكَ الْمُسْرَّةُ فِي الْعَشِيِّ
إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْأَحْوَالُ يَوْمًا
فَثُقْ بِالْوَاحِدِ الْفَرَدِ الْعُلَيِّ



■ الخفايا والخبايا

وَلَا بَدْ لِلْطَّيفِ أَنْ يَكُونَ عَلِيمًا؛ فَكِيفَ يَكْرِمُكَ وَيَمْنَعُ عَلَيْكَ
وَيَهْدِيكَ بِلَطْفٍ مِنْ لَا يَعْلَمُ مَكَانَهُ هَذَا الْلَّطْفُ؟
وَلَا بَدْ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ خَالقًا؛ إِذَا كَمَالُ الْلَّطْفِ يَقْتَضِي
فِي بَعْضِ الْأَمْرِ إِيجَادَ مَا لَيْسَ مُوْجَدًا وَخَلْقَهُ، وَهَا هِيَ أَسْمَاءُ
الله وَصَفَاتُهُ يُشَيرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَيَقْتَضِي وَيُسْتَلزمُ بَعْضُهَا
البعض، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَلَطِيفُ الْخَيِّرُ﴾ كَيْفَ
لَا يَعْلَمُ وَقَدْ بَلَغَ مِنْ عِلْمِهِ أَنْ أَخْفَى عَطَاءَتِهِ فَكَانَتْ دَقِيقَةُ
الْحُضُورِ، هَادِئَةُ النُّورِ، بَاهِرَةُ الشَّعُورِ، كَيْفَ لَهُذَا الرَّبُّ الَّذِي
يَكْرِمُ بِخَفَاءٍ، وَيَهْدِي بِخَفَاءٍ، وَيَصْرُفُ بِخَفَاءٍ، أَلَا يَعْلَمُ كُلُّ هَذَا
الْلَّطْفِ الَّذِي يَحْدُثُهُ سُبْحَانَهُ؟

يقول الشيخ السعدي : «وهو اللطيف الذي أحاط علمه
بالسرائر والخفايا ، وأدرك البواطن والخبايا»

وها هي رؤيا من أعظم رؤى البشرية يراها يوسف ﷺ وهو
في حالة تقول كل مؤشراتها الطبيعية باستحالة تتحققها ! يحكى
رؤياه فيقول : «إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كُوكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِ
سَجَدَيْنِ » ، وتأويل الرؤيا أن أباه وأمه وإخوته الأحد عشر
سيسجدون له إكراماً وتوقيراً !!

جميع المؤشرات لا تدل على تحقق مثل هذه الرؤيا !
فأبوه النبي كريم ، كبير في السن ، جليل في القدر ،
ولا تفضي معهودات الأمور أن يكرم الكبير الصغير ، والنبي غير
النبي ، والأب الأبن !

ولإخوته يكرهونه فكيف سيسجدون له ، بل بلغ من كرههم
أن خططوا لقتله ، بل إن كرههم دفعهم لإلقاءه في البئر ، فهذه
المؤشرات تقول باستحالة أن يحدث سجودهم له في يوم ما !
ثم إن الأحوال تقلبت به فصار مرميأً في بئر ، ثم سلعة تبع
وتشتري ، ثم صار عبداً في بيت عزيز مصر ! وحال العبودية تلك
تضيي أيضاً بتأكيد معنى الاستحالة هذه !

ثم انتقل من كونه عبداً خادماً في قصر إلى عبد حبيس في
سجن ! فبعدت المسافة أكثر بينه وبين تحقق تلك الرؤيا !!

ولكن اللطيف سبحانه يقدر الأقدار، ويصرف الأمور،
ويخرجه من السجن، و يجعله في منصب رفيع، ثم يقدر القحط
على البلاد، ثم يأتي إخوته في ثياب الحاجة، وما تزال أقدار
اللطيف تلتغ لتتحقق تلك الرؤيا القديمة؛ فيعجب يوسف لسجود
والديه وإخوته ويقول: ﴿يَأَبِتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايِّيْ مِنْ قَبْلُ فَدَّ جَعَلَهَا
رَبِّ حَقَّا﴾

وإلا فلولا إرادة ربّه لما تحققت ..

﴿وَقَدْ أَحَسَنَ بِإِذْ أَخْرَجَنِيْ مِنَ الْسِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ
بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَنُ بِيْ وَبَيْنَ إِخْرَقْتُ﴾

هذا اختصار للطف الذي سيطر على المشهد ثم يضع
التوقع النهائي فيقول: ﴿إِنَّ رَبِّ الْطِّينُ لِمَا يَشَاءُ﴾ .. نعم إنّه
اللطيف إذا أراد شيئاً هياً أسبابه بكامل اللطف و تمام الخفاء، حتى
أنّه ليقع ما يستحيل في العادة أن يقع! لأنّ الله اللطيف الخبير.

■ الأحلام البعيدة

إذا رأيت الأرض صفراء بلقعاً، ثم تكون السحاب فوقها،
ثم تصافعت الرعدون ونزل المطر فاهتزت تلك الأرض وانحسرت
فلا تقل إن مثل هذا أمر طبيعي، وتدبر: ﴿أَلَفَ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ

مِنْ السَّمَاءِ مَاءٌ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْسَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَيْرٌ».

مهما تباعدت أحلامك وصار بينك وبينها مفاوز شاسعة فاللطيف يأتي بها: «يَبْقَى إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَحْرَقٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَيْرٌ»، فلا تيأس وربك لطيف لما يشاء.

تأمل حبة الخردل! إنك لا تقاد تراها إن لم تكن محدقا فيها: انظر إلى حجمها بالنسبة لكفك، ثم بالنسبة لحجم غرفة مثلا، ثم بيت، ثم قارن حجمها بحيك، ثم بمدينتك، ثم بدولتك، وبعد ذلك بقارتك، ثم بالأرض، ثم بالسماءات الفسيحة، ثم ثق: إن أرادها الله فسيأتي بها «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَيْرٌ»!

فمن بلغ بطشه أن يأتي بحبة الخردل من متأهات هذا الكون العظيم، ألا يمكن للطشه أن يقود قدرًا إليك - كل المقدمات المنظورة لا توصله إليك، ولا تدلله عليك - بلى والله.

يصل صاحبي في رحلة شاقة من تبوك إلى حدود الأردن، عنده في صباح الغد محاضرات في جامعة مؤتة يجب عليه حضورها، وفي الحدود وبعد قطعه لمسافة مئة كيلو متر يتذكر أن جواز سفره في بيته! يتكلّر ويقرر العودة وعدم السفر ذلك الأسبوع ..

في الغد يقرأ في الصحف عن أنّ بعض طلبة الجامعة -
وطلاب الجامعة خليط من جنسيات عديدة- قاموا بأعمال شغب
في جامعة مؤتة مما أسفه عن جرحى!

اللطيف أنساه الجواز، حتى لا يرى الدم، أو حتى لا يصبح
الصباح وهو في المستشفى! أو حتى لا يتسلل الخوف إلى قلبه
فيترك الدراسة التي كان قد قطع فيها شوطاً كبيراً!!
ارقب ألطاف اللطيف، هي ولا شك ترى، في كل قدرٍ
لطفٌ ما، وفي كل لحظةٍ ألطافٌ تحوطك من قبل اللطيف
الخير.

■ لطف اللحظة الخامسة

انظر لنفسك حينما تدخل الغرفة في اللحظة التي كاد طفلك
أن يسقط فيها من على السرير وتسأله: لماذا الآن بالذات دخلت
الغرفة؟

تأمل ذاتك يوم أن تدخل المطبخ لشرب الماء فإذا بك
تسمع أزيز الكهرباء من فيش الثلاجة مثلاً، فتفصله وأدخنه
الحريق كانت في بدايتها وتسأله: ما الذي أدخلك في هذه
اللحظة بالذات؟ لماذا لم تتأخر خمس دقائق فقط؟

وحتى لو لم تحدث لك مثل هذه التفاصيل، فمن المؤكد أن ما هو قريب منها قد حدث لك، فقط أطلق لذاكرتك العنوان، وسوف تتذكر ظلال اللطف وهي تغمر حياتك ..

وبعد هذا الإبحار الهاداء مع هذا الاسم العظيم، والذي لم نأت إلا على شيء يسير من معناه، وبقي من خبايا معناه ما أتركه لفهمك وتأملك ورجوعك لكتب أهل العلم فيه.

وبعد هذا الإبحار، ألا يستحق هذا اللطيف أن تحبه؟ ألا تتأمل عطاياه؟ ألا تزيد في قلبك من ذكره ومراقبته ورجائه وخوفه؟

أن تعيش مع هذا الاسم أياما .. تدعوه به، وترقب ألطفه، وتفيض عيناك لرؤيه خفيّ هداياته وهداياته؟

قل في خشوع:

يا خفيّ الألطاف نجّنا مما نخاف ..

اللهم يا لطيف الطف بنا، والطف لنا، وقدر لانا من ألطافك الرحيمة ما تقوم به عوج نفوسنا، وتهدي به ضال قلوبنا، وتجمل به شعث حياتنا .



اللَّا فِي

يشفيك بسبب ..

ويشفيك بأضعف سبب ..

ويشفيك بأغرب سبب ..

ويشفيك بها يرى أنه ليس بسبب ..

ويشفيك بلا سبب!

الشافي

هل رضّتك الأوجاع؟ وأتعبتك الآلام؟ وأشعرك المرض أن
الحياة رمادية اللون؟

هل كرهت مراجعة الأطباء، وتعبت من السير في ممرات
المستشفيات، واختلطت في عقلك أسماء العيادات، بتواريخ
المراجعات، بأوجه المرضى؟

إذن ما رأيك أن أطلعك على شيء يغسل روحك من
أوصابها وأتعابها؟

إنّه اسم الله «الشافي» ..

اسمح لنفسك المنهكة أن تلتقط أنفاسها قليلاً، لتقرأ عن
هذا الاسم الرحيم، هذا الاسم الذي ستعلم بعد أن تتفياً ظلامه
مقدار حاجتك إليه، ومقدار بعده عنه أيضاً ..

■ لا مرض بعد اليوم

الشافي من أسمائه سبحانه التي نحمده عليها، نحمده أن

تُسمى بهذا الاسم، وأن اتصف بصفة الشفاء، وأن كان هو وحده من يشفى ويعافي أجساد عباده، وهو اسم يُفصح عن معناه، ويعكس ظاهرة خبايا باطنه.

والشفاء متعلق بالمرض ..

ولأنّ المرض في حياة الإنسان عرض متكرر الحدوث، متزرع الآلام، متعدد الأشكال، لا تكاد تخلو منه نفس، فمن شُفي من مرض عينه شعر بصداع رأسه، ثم إن سكن صداع رأسه آذته خشونة مفاصله، فإن هدأت تلك الأوجاع أخذته الحمى، فإن بردت الحمى ارتفعت التهابات القولون لديه، فإن خفت هجم عليه عصب الضرس .. وهكذا، لا يكاد يخلو يوم من ألم! فإن عمت العافية جسده، نظر فإذا بأخيه يتاؤه، أو أمّه تبكي، أو ابنه يأنّ، أو حبيبه يتالم ..

الحياة حقلًّا أمراض، وأوجاع، وتنهدات، لذلك فقد سُمِيَ الله نفسه بالشافي، لتسجد آلامك في محراب رحمته، وتنكس أوجاعك رأسها عند عتبة قدرته ..

المرض فضيحة كبرى تُبتلى بها غطرسة البشر! ذبول مفاجىء يفقد فيه الإنسان إزدهاره! نكسة لحيوية ذلك الهلوع المثوع .. قدر الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ على هذا الجسد أن تنطفئ نضارته مؤقًّا، حتى يقتنع الإنسان بضعفه، وبأنه لا حول له ولا قوة ..

قدّر الله المرض على الإنسان حتى يتذكر شيئاً أشبه ما يكون بهذا المرض، إنه الموت!! فكما أن المرض نهاية الحيوية فكذلك الموت نهاية الحياة.

أيها الإنسان، إن حقيقتك الموت، وإن كل شيء فيك يشبه الموت، نومك موت، مرضك موت، انتقالك إلى مرحلة عمرية موت للمرحلة السابقة، فالشباب موت الطفولة، والكهولة موت الشباب، إنك أشيه بالموت من الحياة، ومع ذلك فإن الوهم يجعلنا نعتقد أننا مخلدون ولهذا يصرخ المرض بأجسادنا، أنها إلى زوال!

وينظر إلى الداخلين إليه والخارجين من عنده، وهو يحملون على رؤوسهم تيجان الصحة والعافية، بينما يحدث ذلك، تستيقظ في داخله ذكريات التراب، فتعمّ كيانه نكهة المقبرة، شعر بذلك أم لم يشعر!

روحك وأنت مريض تكون في المجتمعات مغلقة مع الموتى، وبدايات الانهيار الداخلي تنضح بها عيناك وشفتكاً وارتتجاف في أطرافك الباردة.

ها هي الحياة التي في داخلك تلوح بكفيها موعدة أولئك الزائرين.

ولمّا يأخذ المرض مداه، وتنغسل أنت من الدنيا جيّداً،
يأذن الشافي سبحانه للداء بالانصراف عن جسده، ويأمر الصحة
أن تعاود سيرتها الأولى، فإذا باللون الوردي يتتصعد على
وجنتيك، وتعود ابتسامة أذبلتها أيام الرُّحْضَاء ..

■ يشفيك بلا سبب!

لأنّه الشافي : يشفيك بسبب ..
ويشفيك بأضعف سبب ..
ويشفيك بأغرب سبب ..
ويشفيك بما يرُى أنّه ليس بسبب ..
ويشفيك بلا سبب !

يشفي بالأعشاب، ويفشي بالأدوية المفردة والمركبة،
ويشفى بالغذاء، ويفشي بالماء ..

ومن أغرب ما قرأت أن طفلاً مصاباً بالسل وأمراض أخرى
زعم الأطباء أن موته قد شارف، وأنذروا لوالده أن ينقله معه إلى
الريف ليستمتع في آخر أيامه بهواء الريف العليل ومناظر الحقول
الطبيعية، وبينما هو يمشي وبيه قطعة كعك باردة إذ لقيه رجل
طاعن ونظر إلى عينيه الدايتين وسأله: هل تريد الحياة يا بُني؟

فهَرَّ رَأْسَهُ أَنْ نَعَمْ، فَقَالَ: كِيفَ تَحْصُلُ عَلَى الْحَيَاةِ وَأَنْتَ تَأْكُلُ طَعَامًا مِيتًا؟

عَلَيْكَ بِالطَّعَامِ الْحَيِّ، الْلَّحُومُ وَالخَضْرُوَاتُ وَكُلُّ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الطَّبِيعَةِ وَمَا زَالَتْ حَرَارَةُ التَّرَابِ فِيهِ وَأَثْرُ الْحَيَاةِ عَلَيْهِ!

يَقُولُ الطَّفَلُ فَنَزَلَتْ نَصِيحَةُ ذَلِكَ الرَّجُلِ مِنْ قَلْبِي مِنْزَلَ التَّصْدِيقِ وَالْانْصِياعِ، فَصَرَتْ لَا أَكُلُ إِلَّا الطَّعَامَ الْحَيِّ، الطَّعَامُ الَّذِي يَحْمِلُ فِي دَاخِلِهِ حَيَوَيَّةَ الْحَيَاةِ النَّابِضَةِ، الْلَّحُومُ بِأَنْوَاعِهَا، وَالخَضْرُوَاتُ بِأَشْكَالِهَا، وَالْبَخْزُ الْحَارُ قَرِيبُ الْعَهْدِ مِنَ الْحَقْلِ، وَالفَاكِهَةُ النَّاضِرَةُ، يَقُولُ: فَتَحَسَّنَتْ صَحَّتِي وَتَوَرَّدَ جَسْمِي، مَمَّا حَدَّا بِأَبِي أَنْ يَذْهَبَ بِي إِلَى الْمُسْتَشْفَى وَبَعْدَ كَشْوَفَاتِ وَتَحَالِيلٍ فَغَرَّتْ أَفْوَاهُ الْأَطْبَاءِ . . . الْمَرْضُ لَمْ يَعْدْ لَهُ وَجُودًا!! يَحْكِيُ هَذِهِ الْقَصَّةُ نَفْسُ الطَّفَلِ بَعْدَ أَنْ كَبَرَ وَأَصْبَحَ مِنْ أَشْهَرِ الْمُعَالِجِينَ بِالْغَذَاءِ فِي الْعَالَمِ إِنَّهُ «جَايْلُورِدُ هَاوْزِرُ» فِي كِتَابِهِ «الْغَذَاءُ يَصْنَعُ الْمَعْجَزَاتِ».

نَعَمْ حَكْمُ عَلَيْهِ الْأَطْبَاءِ بِالْمَوْتِ، وَلَكِنْ مَلْكُ الْمُلُوكِ لَمْ يَحْكِمْ عَلَيْهِ بِذَلِكَ!

نَعَمْ أَرَادَ الْأَطْبَاءِ أَنْ تَنْتَهِي حَيَاةُ فِي الْرِيفِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرِدْ ذَلِكَ!

نعم عجز الأطباء عن علاجه، ولكن الله لم يعجز ولن
يعجز ولا يعجز !

■ لا تدري !

من الذي أودع أسرار الشفاء في الخضروات واللحوم
وغيرها من النباتات والأشياء التي في متناول أفق رجل الدنيا ؟
إنه الله الشافي سبحانه .

فلعلك مصاب بمرض، وأنت لا تدري، وتأكل الطعام
الذى فيه شفاوك وأنت لا تدري، تمرض ويشفيك وأنت لم تعلم
أصلا بمرضك ولا بشفائك !!

وقد يضع سبحانه شفاءه في الماء، وكلنا يحفظ «ماء زمزمَ
لِمَا شُرِبَ لَهُ»^(١) وهو «طَعَامُ طَعْمٍ وَشِفَاءُ سُقْمٍ»^(٢)، وكم من
مريض أضناه المرض فأدمن شرب هذا الماء المبارك فبرئ بإذن
الله .

ومن استعرض أحاديث الشفاء وجد كما كبيراً من الأدوية
النبوية، جمع بعضها ابن القيم في كتابه «الطب النبوى» ..

(١) أخرجه ابن ماجه في سنته (٣١٧٨-٣١١٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٢٩٥-١٤٦).

فمن الأدوية على سبيل المثال لا الحصر: القسط البحري والهندي، وألبان البقر، وسمنها، والستا والسنوت، والحبة السوداء، والتلبينة، وقيام الليل .. وفي كل ذلك أحاديث صحيحة.

وهو سبحانه يشفي بالصبر، ويشفى بالدعاء، ويشفى بالصدقة، ويشفى بالاستغفار، ويشفى بالتوبة، ويشفى بالرضا، ويشفى بلا شيء!

■ وعاد التور ..

دخل علينا في مكتبة الشؤون الدينية في مستشفى الملك عبد العزيز بتبوك والهلع ينسج على وجهه سحابة قاتمة اللون، اعتقدنا في تلك اللحظة ابتسامته المشرقة، سأله؟ فإذا به يقول لنا إنّ ابنه منوم في الدور العلوي، قدّ وقع عليه حادث وقد بسيبه بصره!!

يا لهول فجيعتنا، فكيف بفجيعة قلب هذا الأب؟
قال برجاء: أريد من أحدكم أن يقوم معي ويرقي ابني، على الله أن يشفيه ..

نهض صاحبي على الفور وذهب معه، وبعد ساعة عاد

صاحبِي وأخبرني أنَّه رفاه ثم أمسك بالأب وصبره وأخبره بحديث «دَأْوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ»^(١) .. قال فآخرج الأب من جيئه خمسمئة ريال وقال له تصدق بها بنية الشفاء عن ابني .. بعد يومين دخل الأب بوجه آخر وطلب من صاحبي مرافقته، عاد صاحبي بعد نصف ساعة تقريباً متھللاً وقال: أبشرك، صار يرى شيئاً من نور الغرفة! ثم أخبرني أنَّ الأب أعطاه ألف ريال ليتصدق بها، كان ذلك اليوم نهاية الأسبوع. يوم السبت أخبرني صاحبي أنَّ الأب جاءه وأخذته إلى غرفة ابنته، ولم يصدق حين قال لي إنَّ ذلك الطفل قد صار يرى كسابق عهده!! لقد عاد بصره، وصار يرى الحياة من جديد ..

من الذي شفاه؟ من الذي كتب لعينيه الحياة؟ من الذي أعاد ذلك الضياء إلى مقلتيه؟

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

سبحانه قال لبصره عد، فعاد البصر!

■ عُذْ إِلَيْهِ ..

لا يريد منك سوى العودة إليه، أن تتلمس الطريق المؤدي إليه ..

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠١٩٦-١٢٨/١٠-١٣).

عد إليه بالرضا ، عد إليه بالسجود ، عد إليه بالتوبة ، عد إليه
بالاستغفار ، عد إليه بالصدقة ، عد إليه بالاعتراف ..
اطرق بابه ، ثم ارتقب الشفاء ..
ليس هناك مستشفى في الدنيا تداويك إذا لم يشا الله لها
ذلك .

ليس هناك طبيب في العالم يستطيع أن يشخص مرضك ، إلا
إذا أراد الله ذلك .

أحد الأثرياء مصاب بالفشل الكلوي يسافر به أبناؤه إلى
مصر لزراعة كلية ..

فاتفق الأبناء مع أهل فتاة صغيرة في السن على مبلغ مئة
ألف ريال سعودي ثمناً لكتلتها ، وفي الصباح كان الجميع في
المستشفى ، فطلب الرجل قبيل العمليات اللقاء بالفتاة التي قررت
بيع كتلتها له ، دخلت إليه في خفر وحياه ، فسألها : ما الذي
دعاك إلى أن تباعي كتلتك لشيخ كبير مثلني ؟

فقالت : الحاجة ! أسرتي فقيرة ، وإخوتي في الجامعة ، يجب
علي أن أفعل شيئاً لأساعدهم !!

كأنّها صفعته ! أيقظته من سبات ، نسي معه احتقان الدم
الفاسد في جسده ، تسائل في نفسه : أيعقل أن يستغني إنسان عن

جزء من جسمه، عن قدر من حياته لأجل أن يأكل، أن يعيش؟
طلب على الفور أبناءه؛ فلما دخلوا عليه أمرهم أن يعودوا
به إلى السعودية فقد ألغى فكرة الزراعة!!
وأخبرهم أن مبلغ المئة ألف صدقة منه للفتاة، لا يأخذوا
منه ريالاً!

وبعد مقاومة من أبنائه، وغضب من بعضهم، رضخوا لرغبة
أبيهم، وبعد عودته إلى السعودية يذهب إلى المستشفى كالعاده
للغسيل، وفي فحص دوري يكتشف الأطباء وبذهول أن كلية
عادت للعمل!

قدرة ملك الملوك على الشفاء لا تحتاج إلى موضع جراح،
إنه الملك الذي ينظر من عليه ملكه: فيشفى مريضاً، ويسعد
مكروبياً، ويعيد مسافراً، ويبرأ جريحاً ..

■ موعد مسبق

يُمرضك لتعود إليه فإذا عدت رفع المرض إذ أنه لم يعد
للمرض فائدة!

يمرضك للتواضع فإذا تواضعت وذلت رفع عنك المرض
لأنه لم يعد للمرض فائدة!

يمرضك لتشعر بالآخرين فإذا شعرت بهم رفع عنك المرض
لأنه لم يعد للمرض فائدة!

يمرضك ليختبر صبرك ورضاك فإذا صبرت ورضيت رفع
المرض لأنه لم يعد للمرض فائدة!

الشافي الذي لن تحتاج إذا أردت الدخول عليه إلى موعد
مبقى، وبطاقة تؤهلك للعلاج، وأن تأتي قبل الموعد بربع ساعة
على الأقل هو الله!

فقط قل: يا الله، فإذا بأعظم مستشفى إلهي تفتح أبوابها،
إنّها مستشفى الرحمة والقدرة واللطف والشفاء ..

يقول صديقي إنّه سمع تهشّم عظام ذلك الطفل تحت
إطارات سيّارته، أوقف السيارة، وحمل الطفل إلى المستشفى
وقلبه يرجف، جاء أبو الطفل وجده، كان صديقي فاقد الصواب،
لم يدر بخلده أنّه سيقتل طفلاً في حياته!!

كان صوت العظام المتكسرة يتربّد في أذنيه!
أقبل إليه جدّ الطفل وهذا من روّعه وأخبره أن ما يكتبه الله
سيكون، وسيرضون به ..

صلّى بهم ذلك الجدّ صلاة العشاء في مسجد المستشفى
وقرأ «وبشّر الصابرين»، بكى صديقي بحرقة!

بعد الصلاة خرج الأطباء وأخبروا الأب والجد أن الأمل
في حياة الطفل ضئيل، فهو يعاني من تهشّم فظيع في الجمجمة!!
صُعق صديقي، عاد خائر القوى إلى بيته، غاب عن العمل
أسبوعاً كاملاً، فقد كان في صدمة مذهلة.

لم يكن هناك دواء لذلك الطفل البئيس أعظم من إيمان جده
ودعوات أمّه ويقين أبيه وتعلق الجميع بالله ..

بعد أقلّ من أسبوع زرت بنيتي ذلك الطفل الجميل، فإذا
به يضحك ويلعب ويقوم ويتحدى معنا، صدق الله وأخطا
الأطباء، صدق جابر العظام المنكسرة ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾

من الذي يقدر على أن يلأم تلك العظام المتنافرة؟ ويعيد
البسمة إلى ذلك الشغر؟ وينفح الروح من جديد في جسد افتتحت
له أبواب المقبرة؟

الله وحده من يقدر على ذلك!

■ ضع نقطة

هذا هو أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، الذي جاء ربّه بقلب
سليم، سليم من أي ذرّة شرك قد تعترى قلباً ضعيفاً، يقولها عليه السلام

فيفهم المؤمن الدرس ولا يلتتجئ إلا للحي الذي لا يموت : ﴿وَإِذَا
مَرِضَتْ فَهُوَ يَشْفِيْنَ﴾، هو وحده، لا أحد سواه يشفيني .
ضع نقطة هنا ، لن تحتاج إلى غيره إذا أراد شفاءك ، ولن
يفيدك غيره إذا لم يرد !

يرضّ الجدرى جسد أيوب ﷺ ، تتشتت أسرته ، تتبعثر
أملاكه ، أكثر الناس تفاؤلا يفقد الأمل في شفائه ، وهو صابر
محتبس ! تشتعل الأسماق في جسده وهو منكس الرأس
لمولاه ، وبعد سنوات البلاء ، يندّ من شفتيه دعاء حبي ، دعاء
منكس رأسه بذلة ، دعاء ممتلىء بالاليقين :

﴿أَفَ مَسَّيَ الْصُّرُّ وَأَنَّ أَرْحَمُ الْرَّجِينَ﴾

فإذا بأبواب السماء تنفتح بالرحمة ..

وإذا بالأوامر العليا تنزل من فوق السماء السابعة لأجل
ذلك المهموم المكروب ..

تنتهي في ساعة سنوات العذاب ، ليأتي عهد الشفاء !

لماذا تذهب إلى غيره ؟

لماذا تلتتجئ إلى سواه ؟

لماذا تشق بكل هؤلاء الموتى الذين يتحرّكون حولك وتنسى
الحي الذي لا يموت ؟

من الذي خدعك وأقنوك أن الشفاء قد يأتي من طريق آخر؟
كيف ضحكْت عليك الحياة بهذه السرعة، ونسيت ذلك
الذي أخرجك من بطن أمك دون طبيب، وخلق لك في صدرها
رزقاً حسناً، وعلّمك وأنت أحيل ما تكون كيف تزم شفتيك على
صدرها لترضع؟ أنسّيت الذي خلق الرحمة في قلب تلك الإنسنة
لتضمّك؟ وتعتنني بك؟

أ بهذه السرعة نسيته؟

أهكذا ظنت أنك يمكنك الاستغناء عنه؟؟

ها هو سبحانه بالمرض يذكّرك بأيامك الأولى، بالمرض
يقول لك: عد إلىي، فكما خلقتك من عدم فأنا وحدي الذي أرفع
عن جسدك السقم!

■ الرضا

قد يكون الدواء أقرب إليك مما تظن!!

فها هو أيوب عليه السلام يؤمر أن يضرب برجله الأرض «هذا
معنسلٌ بارِدٌ وَسَرْكَبٌ»!

لقد كان الدواء بالقرب منه، لم يكن ينقصه إلا مشيئة الله
حتى تكتمل أسباب الشفاء، فلما شاء الله، علم أيوب مكان

الدواء فنجع الدواء بإذنه سبحانه.

أنت لا تحتاج أن تحجز إلى واشنطن أو باريس أو بكين،
فدواؤك إن شاء الله قريب، فقط احجز لقلبك رحلة إلى مدينة
الرضا:

دواؤك فيك وما تشعرُ
وداؤك منك وما تبصرُ

إذا رضيتك عن الله أرضاك الله ..

المرض من أقسى اختبارات الرضا، فإذا كانت إجاباتك في
هذا الاختبار راضية، كانت النتيجة مرضية بإذن الله.

قد يسأل البعض: كيف أرضى بالمرض وفيه الألم المكرور
فطرة؟ كيف أرضى بالشيء الذي أكره؟

يجيب الإمام ابن القيم عن هذا التساؤل قائلاً: «لا تنافي
في ذلك، فإنه يرضى به من جهة إفضائه إلى ما يحب، ويكرهه
من جهة تألمه به، كالدواء الكريه الذي يعلم أن فيه شفاء، فإنه
يجمع فيه رضاه به، وكراهته له»

قل من بين آهاتك ما أمر به نبيك أمهته أن تقول: «رضيتك
بِاللهِ رَبِّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولَ اللَّهِ نَبِيًّا»⁽¹⁾، قلها بقلبك، بل

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٠/٣٨٦).

رُوّض قلبك على الرضوخ لمعناها، بل أغسله بها غسلاً، فالرضا
عن الله فرع عن الرضا بالله .. وإذا رضيت به أرضاك!
اجعل قلبك يتنفس الرضا، اجعله يتلذذ بالرضا، ثم تأمل
جسده، وسترىً أمارات الشفاء تدب في نواحيه بإذن الله ..
اجمع يديك واتل اسمه في دعائك ثم امسح على جسده،
يُرجع سبحانه بذلك النفحة أشياء كانت على وشك المغادرة!
اجعل المرض بداية عهد جديد تعرّف فيه إلى ربك من
خلال اسم الشافي ..

■ أنهار الذنوب

لقد مرضت كثيرا في حياتك .. أليس كذلك؟ من شفاك؟
أليس الله؟ لماذا تظن أن هذا المرض بالذات يُعجزه؟ هذا الظن
وهذا الإحساس يستحق العقوبة منه، وقد يكون مرضك عقوبة
لاعتقادك للمريض، انقض المرض عن قلبك أولاً، ثم التجئ
بالشافي إلى الشافي يشفيك.

كل هؤلاء المرضى في المستشفيات يتظرون الإذن لهم
بالشفاء من الشافي سبحانه ..

ليس هناك آلة إلا ويسمعها، ولا ألم إلا ويعلم موضعه، ولا

زفة إلا ويرى نيرانها في الفؤاد.

ثم إذا ما تم مراده، ون泽فت عبر آهاتك أنهار الذنوب، أمر
سبحانه العافية أن تعود فإذا بك تمشي في أرض الله وقد
اغتسلت من الذنوب!

لأنه الرحيم يشفيك ..

لأنه العليم يشفيك ..

لأنه الحليم يشفيك ..

لأنه القدير يشفيك ..

لأنه الله يشفيك ..

معه ستمسح أرقام وأسماء الأطباء!

معه ستتسنى مواقع المستشفيات!

معه ستلغي مواعيد العيادة!

ابن في غرفتك مستشفى جديدة اسمها السجادة ..

واعقد موعداً مع السجود ..

وسجل في قلبك اسمًا واحدًا: الشافي!

اللهم يا شافي، اكتب شفاءك ورحمتك لكل روح ضعيفة،
ولكل جسد منهك، ولكل قلب متعب إنك سميع الدعاء.



الوَكِيل

أمانيك مع الله حقائق ..

تطلّعاتك واقع معاش ..

رغباتك ستُهدي إليك ..

أشواقك ستُهب عليك ..

الوَكِيل

هل تشعر بضعفك؟ وبأن الدنيا بتفاصيلها أكبر منك، وبأنك
ريشة في مهب ريح الحياة الصاخبة؟

هل تشعر أنك طائر قُصّ جناحاه فهو خائر القوى، بحاجة
إلى مساعدة؟

هل لديك أشياء تخشى عليها، وتريد أن يجعلها في عهدة
من لا تضيع لديه الأشياء؟ سواء كانت هذه الأشياء: أبناء أو مالاً
أو صحة أو حياة؟

إذن: فادلف إلى أنوار اسم الله «الوَكِيل» ..

ابداً بالتعرف من جديد على هذا الاسم الجليل، غُصْ في
أغوار معانيه، أرخ نفسك من ضعفها، وقلقها، واستيحاشها بأن
 يجعلها تتفياً ظلال «الوَكِيل» ..

■ فاتخذه وكيلا ..

الوَكِيل هو الذي لا ينبغي أن تتوكل إلا عليه، ولا أن تُلْجئ

ظهرك إلا إليه، ولا أن تضع ثقتك إلا فيه، ولا أن تعلق آمالك
إلا به.

أيُّ عمل تتوكل على الله فيه انسه تماماً، لأنك إن توكلت
على الله فهذا يعني أنك وضعت ثقتك في إتمام هذا العمل بمن
يملك الأمور كلها، ومن السماوات والأرض من بعض مربوباته،
ومن يجير ولا يجار عليه.

يقول الحق سبحانه عن نفسه العلية: ﴿رَبُّ الْشَّرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّحْزَهُ وَكِيلًا﴾ يأمرك رب المشرق والمغرب أن تتخذه
وكيلاً، فماذا بعد هذا من راحة وعز وشموخ وضمان للتوفيق؟

فقط يريده أن يقول بقلبك: أنت وكيلي يا الله!

هل هناك غنيٌ على وجه الأرض يأمرك ألا تستعين إلا به؟
وألا تتوكل إلا عليه؟ وألا تلتجيء إلا له؟ لا وجود لهذا الغني
على الإطلاق، لأنه ليس من طاقة البشر أن يحموك من كل شيء
ويكفوا عنك كل شيء ويعينوك على كل شيء.

الله وحده من يقول ذلك، ويفعل ذلك، ويقدر على ذلك!
التوكل يقينٌ قلبيٌ، يحيلك إلى سائرٍ تحت مظلة عظيمة
تقيك من حرّ الهموم، ومطر المكائد، ورياح الدنيا المقلقة ..
المحروم وحده هو من لا يقدّر هذه المظلة ومن لا يحاول السير
تحتها.

أعظم الملوك وأجل الأرباب سبحانه يأمرك أمراً أن تتخذه
وكيلاً؟ أن تضع حاجاتك في فنائه ليقضيها لك هو، أن تلتجئ
ظهرك إليه حتى يمنع عنك سهام الغدر، أن تفوض أمرك إليه حتى
يتم على أكمل حال وأصحّ مثال، والسؤال هو: ما الذي تتظره؟
ما هو الشيء الآخر الذي يجعلك لا تقبل هذا الفضل؟ من الذي
اعطاك أكثر من هذه المزايا؟

متعلّقون نحن بالتراب لدرجة مخيفة!

اقرأ:

﴿وَتَوَكّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿الَّذِي يَرِيكَ حِينَ نَقُومُ﴾ وَتَقْبَلْكَ
في السَّاجِدِينَ﴾

ما هو الأمر الكبير والكرب الشديد والهم العظيم الذي
سيستعصي على رب العزة؟ العزة نفسها هو ربها، كل عزة رأيتها
أو سمعت بها أو علمتها هو ربها، فكيف يمكن لكرهوبك أن
تصمد أمام إرادة رب العزة والكرباء والعظمة؟

■ خطة سنوية ■

وأعظم ما تتوكل على الله فيه هو عبادته، أن تخلّي وتتبرأ
من حولك وقوتك وتقول بقلبك قبل لسانك: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، فـتستعين وـتتوكل وـتطلب القـوة منه على أن تعبده.

لا يتصور أن يأمرك الله أن تعبده، ويأمرك أن تتوكل عليه، فـتتوكل عليه في أمر العبادة فيـخذلك، هذا مما لا يتصور وقـوعه، كيف تطلـبه أن تعبـده مع كـمال حـبه لهـذه العبـادة ثم لا يـعينك؟ فقط أكثر من الكلـمات النـبوية الـكريمة:

«اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(١).

هل قـلت أكثر منها؟

إذن أنا اعتذر، لا تـكثر منها فـحسب، بل اجعلـها ضمن جـدولـك الـيومـي، وـخـطـتك السـنوـية، وأـهـداف حـياتـك!

لأنـه إذا لم يـعنـك عـلـى ذـلـك، فـليـس هـنـاك قـوـة سـتعـينـك ..

لأنـه إذا لم يـعنـك عـلـى ذـلـك، فـلن تـفـعـل شـيـئـا مـن ذـلـك!

لأنـه إذا لم يـعنـك عـلـى ذـلـك فقد خـسـرت الدـنـيـا وـالـآخـرـة!

يـقول ابن الـقيـم:

«قال شـيخ الإسلام ابن تـيمـية قدـس الله رـوحـه تـأـمـلت أـنـفع الدـعـاء فإذاـ هو سـؤـال العـون عـلـى مـرـضـاته ثـم رـأـيـته فيـ الفـاتـحة فيـ إـيـاك نـعـبد وـإـيـاك نـسـتعـين» ..

(١) أـخـرـجه أبو دـاود فيـ سـنـة (٥٦١/١٥٢٤)، وـالـنسـائـيـ فيـ سـنـة (٣٠٣/١٣٠٣).

ويقول أيضًا :

«القلب يعرض له مرضان عظيمان إن لم يتداركهما العبد
تراميا به إلى التلف ولا بد وهما الراء والكبير فدواء الراء بإياك
نعبد ودواء الكبر بإياك نستعين ..

وكتيرا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله
روحه يقول: إياك نعبد تدفع الرياء! وإياك نستعين تدفع
الكرياء».

أرأيت الصلاة التي فرغت للتو من أدائها ، والله لو لم يعنك
عليها لما أديتها ..

■ انكسر له ..

وهو رحيم، فقط أنزل حوايجك ببابه، فقط اجعل قلبك
منكسرًا وكأنه مُخبّت تحت العرش، ولو لم تدعه، الرحيم
سبحانه يريد هذه الحالة الخاشعة منك، وبعدها ثق بأنه سيقضى
حوايجك، ويرفع مرضك، ويخلق الابتسامة على ثرك.

أمانيك مع الله حقائق ..

تلعاتك واقع معاش ..

رغباتك ستُهدى إليك ..

أشوائق ستهبّ عليك ..

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (١٧٦) الَّذِي يَرَنُكَ حِينَ تَقُومُ

الذي قمت للصلوة له، والذي مرّغت جهتك له، والذي نكست رأسك له، هو الأحق أن تعلق حاجاتك به، أن توكل إليه أمر شفائك، أن يكون هو ملجأك من مخاوفك، أن يجعله سبحانه المعين على تحقيق أحلامك :

فالزم يديك بحبـل الله معتصماً

فإلهـ الرـكن إنـ خـانتـكـ أـركـانـ

امرأة صالحة قرر ابنتها أن يكمل دراسته في الخارج، وكانت تسمع عن الضياع والانحلال الذي ينغمـسـ فيهـ (بعضـ)ـ منـ يـذهبـ لـلـدـرـاسـةـ فيـ تـلـكـ الـديـارـ،ـ ولـكـنـهاـ كـانـتـ مـغـلـوـبةـ عـلـىـ أمرـهاـ،ـ أمـورـ كـثـيرـةـ أـجـبـرـتـهاـ عـلـىـ الرـضـوخـ،ـ فـعـلـمـتـ أـنـ اللـهـ هـوـ القـادـرـ عـلـىـ حـفـظـ وـلـدـهـ،ـ فـجـعـلـتـ جـزـءـاـ مـنـ صـلـاتـهـ دـعـاءـ لـوـلـدـهـ بـالـحـفـظـ،ـ عـادـ الـوـلـدـ مـنـ دـرـاسـتـهـ وـقـدـ صـارـ مـنـ أـهـلـ الـمـسـجـدـ وـقـيـامـ الـلـيلـ وـالـأـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ وـالـنـهـيـ عـلـىـ الـمـنـكـرـ!ـ عـادـ وـقـدـ اـكتـسـبـ قـيـماـ لـمـ تـكـنـ لـدـيـهـ مـنـ قـبـلـ!ـ كـيـفـ نـتـخـيـلـ أـنـ الـوـكـيلـ سـبـحـانـهـ سـيـترـكـ الـابـنـ لـلـضـيـاعـ؟ـ وـأـمـمـ تـتـضـرـعـ إـلـيـهـ أـنـ اـحـفـظـهـ يـاـ رـبـ،ـ أـنـ توـكـلـتـ عـلـيـكـ فلاـ تـخـذـلـنـيـ فـيـ اـبـنـيـ!

■ الدموع المبتسمة!

لو قال لك أحد ملوك الدنيا، وَكُلَّنِي في أن أنتزع حَقّك من
فَلَانِ الظَّالِمِ، فَقَطْ وَكُلَّنِي، هَلْ سِيرَاوْدُك شَكْ في أن حَقّك لَن
يَصُلُ إِلَيْكَ؟ أَنْتَ تَحْتَاجُ إِلَى توْقِيعٍ مِنْ أَحَدِ مَعَاوِنِي الْمَلْكِ حَتَّى
يَجْعَلُ ذَلِكَ الظَّالِمِ يَعْدِي إِلَيْكَ حَقّك وَهُوَ يَرْجُفُ، فَكَيْفَ إِنْ كَانَ
الْتَوْقِيعُ مِنْ الْمَلْكِ، فَكَيْفَ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَوْقِيْعًا بَلْ قِيَامًا بِالْمَهمَّةِ مِنْ
جَهَتِهِ؟

الآن دع ذلك الملك ومعاونه، وتأمل :

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾

لقد طاشت الآن كل صور الحاجات في نفسك، أليس
ذلك؟

لم يعد للخوف وجود، ولا للتردد مكان، ولا للاحتمالات
سبب !!

الله سيحوّل جميع مشاكلك إلى حلول، وكل آلامك إلى
عافية، وكل أحلامك إلى واقع، وكل دموعك إلى ابتسamas ..
حتى لو متّ، فالحي الذي لا يموت، سيعيد حَقّك لأبنائك
من بعده، لا تشغّل في لحظة وجعلك وغمّرة آهاتك بأبنائك من
بعده، فالحي الذي تموت أنت ولا يموت هو سيكون لهم،

سيكون معهم، سيرأف بحالهم، سيسعدهم، سيجعل حياتهم
أفضل منها وأنت معهم، لأنّه الحي الذي لا يموت ..

■ أكسجين الحياة ■

حتى لو لم يظلمك أحد، توكل عليه!
ليس التوكل منجاة من ظلم الظالمين! وإعانته على عمل
معين فحسب!
التوكل هو أكسجين حياتك، هل تستطيع العيش
بلا أكسجين؟

توكل على الله في صحتك .. أوكلْ أمر نبضات قلبك
وحركة أعضائك وتدفق دمائك في شرايينك وانتقال الطعام داخل
جسمك إلى الله.

لو لم يأذن الله لجفنك أن يغمض لا حترقت عينك جفافاً!
لو لم يأذن الله للسانك أن يذوق لهبّت الحياة في نظرك!
لو لم يأذن الله لجلدك أن يحسّ لتقطعت دون أن تشعر!
توكل عليه سبحانه في صلاح أبنائك ..
كم قد رأيت ورأيتُ أبناء تربوا في المساجد ثم ألحدوا،
والعياذ بالله؟

وأبناء صرف عليهم الآباء المال والرعاية ثم ضاعوا!
وأبناء أحاطهم اهتمام إخوانهم الكبار ثم انحرفو!
الله وحده الذي يعلم مكان الهدایة في قلب ابنك، ادعه أن
يملاه إيماناً، توكل عليه، قل له بخصوص: يا رب، هذا ابني،
وأنت ربّي وربّه فاهده إلينك ودلّه عليك وأعني على تربيته ..
يا رب أنا لن أحسن أن أمره بالصلة ما لم تعني ..
وهو لن يحسن أن يصلّي ما لم تعنـه ..
فأعـنـا على ذكرك وشكـرك وحسن عبادتك ..

■ الحياة جحيم بدونه ..

توكل عليه في سعادة حياتك، فالحياة جحيم بلا الله!!
يقولون: امدح زوجتك، حدّثها عن التفاصيل حتى تخلب
لبّها، ابتسم لها، عاملها بلطف بهذا كله ستكتسب قلبها، وحبّها!
نعم كل هذا صحيح، ولكن قبل ذلك وبعده وأثناءه قل:
يا رب أصلح لي زوجي ..
استعن به، توكل عليه، ادعه قائلاً: كل ابتساماتي لزوجتي
لا فائدة منها إن لم تشاً أنت ذلك.

تضرع إليه قائلاً: قلْبُها يدك لا يدي فاؤدم بيتنا وأصلحنا
يا رب لبعضنا.

الله يريده أن تعرف أنه ضعيف محدود القوة متواضع
الإمكانيات، وأنه وحده القوي العزيز العظيم، إذا فعلت ذلك
فقد أنهيت ثلاثة أرباع التوكّل، إذا فعلت ذلك كل الأشياء من
حولك تتحول، صدقني: تتحول!

دعك من حاجاتك وأحلامك وهمومك، دعنا نتخيل أنك
إنسان بلا حاجات وبلا أحلام وبلا هموم وبلا أمراض، أنت
تحتاج أن تتوكل عليه ليحبك؟ ألسن تريده أن يحبك؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، إن معنى أن يحب الله العبد معنى لا يمكن لمن
لديه أدنى رهافة أن يمرّ عليه دون أن يتحقق له فؤاده حيناً ورغبة
وشوقاً، الله الذي لا إله إلا هو يحبك، هذا سبب كاف جداً أن
تسعي إلى التعلق بالوكيل سبحانه وأن تتوكل عليه وأن تحب هذا
الاسم الدال على هذه الصفة العظمى.

■ حسبي الله

يأتي بعض الناس ليثبطوك، ليقللوا لك شيئاً من الواقع
البشري، ليهزّوا يقينك الداخلي، ليعبوا بأحساسك، ليأمروك أن
تخشى أن تخاف أن تتضعضع أن تغير موقفك أو تحرف وجهة

مبادئك ، في تلك اللحظة أغسل قلبك بالإيمان وقل : حسبي الله ونعم الوكيل ، لحظتها ستقلب بنعمة من الله وفضل ولن يمسك سوء ! أقرأ بتدبر :

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الْأَنَاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوهُمْ فَرَادُهُمْ إِيمَنًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ ﴾١٧٦ ﴿فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسِهِمْ سُوءٌ﴾ ..

أما إصابة السوء لك فلا شك أنها لن تصيبك ، ولكن حتى المس الذي كنت تظن أنك لن تنجو من بعضه ، لن يمسك ، لن يلمس جلدك قرح ، لن ينزع قلبك ندم ياذنه سبحانه !!

اقرأ بقلب : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ..

إذا توكلت على الله فلا تعتقد أن المسألة تتعلق بأنك لم تجد غيره لتوكل عليه ، لا أبدا ، أنت توكل على أعظم ما يمكن أن يتوكلا عليه مخلوق .

البعض يقول : ليس لنا إلا الدعاء !

عجب ! وهل هناك قوّة أعظم من الشيء الذي ليس معك غيره ؟

الدعاء هو من مظاهر التوكل ، الدعاء هو تيقن قلبي قبل أن يكون كلمات صوتية بأنه المستطيع سبحانه كل شيء ، وهذا

هو التوكل في أوضح صوره!
الذي يقول: فلان ليس له إلا الله، قل له: وكفى بالله
وكيلاً، ونعم بالله، وماذا ينقصه إذا كان معه ملك الملوك ورب
المشرق والمغرب؟

خذوا كل دنياكم واتركوا
فؤادي حرّا طليقاً غريباً
فإنّي أعظمكم ثروةً
وإن خلتموني وحيداً سليباً



■ سبب مقنع

أتدرى لماذا يكفي أن تتوكل على الله؟ هناك سبب مقنع
جداً، هو كونه سبحانه يملك السماوات والأرض: ﴿وَلَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾
هذا الذي تخشاه أليس من سكان هذه الأرض؟ إذن هو
له، والله سبحانه هو المحتكم فيه؟

هذا المرض الذي هذك ولم تجد علاجه، أليس في
الأرض؟ إذن هو ملك لله، وهو سبحانه القادر على أن يأمره أن
يعادر جسده!

هذه الكروب والهموم والغموم والأتعب والانشغالات
أليست في الأرض؟ إذن توكل على من له هذه الأرض، ومن
فيها، حتى يزيل بكلمة واحدة منه كل كروبك وهمومك
وأتعابك.

ولأنه سبحانه خالق كل شيء فهو قادر على عمل أي
شيء، لذلك نتوكل عليه: ﴿اللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
تأمل: حسبنا الله ونعم الوكيل ..

أي ليس لنا إلا الله، ثم هو نعم الوكيل، فليس هناك وكيل
أعظم منه أو أجل منه أو أرجى منه.

■ احذر ..

احذر أن تتخذ وكيلاً غيره، احذر أن تلتتجئ إلى سواه،
سوف يصيبك الوهن، سوف تغزوك الوساوس، سوف يتعلق
قلبك بشعب الدنيا، قال سبحانه: ﴿أَلَا تَتَحَذَّرُ مِنْ دُونِ
وَكِيلًا﴾، يحرم عليك أن تبحث عن غيره وهو الموجود، أن
تتكل على غيره وهو الحي، أن تلتتجئ إلى غيره وهو المقيت.
ولأنه سميع عليم تتوكل عليه، فسوف يسمع كل شيء يدور

في الخفاء، ويعلم كل أمر يحاك في الظلام، فكيف تتوكل على غيره، وغيره لا يمكنه أن يسمع ذلك أو يعلم ذلك؟ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّمَا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾!

هذا الظالم الذي يؤذيك، إنما هو مخلوق لهذا رب الذي يحميك! فتوكل عليه يردد سبحانه أذاه، وقل بكل عزة: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَائِبٍ إِلَّا هُوَ مَاءِدٌ بِنَاصِيَهَا﴾.

إذا كان الشيطان وهو ذو الجنود والعساكر، والقوة التي أعطاه الله إليها على الوسوسة والتخويف بل والتلبس وغير ذلك، لا يستطيع التوصل إلى الم kukل ﴿إِنَّمَا لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فكيف بمدير في العمل أو جار سوء أو أمير أو وزير؟

تذكر:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ لن تحتاج أحداً أبداً إذا وثقت به وتوكلت عليه وجعلته هو المعين لك في شؤونك.

هو حسبك وكافيتك وراد السوء عنك ..

أنت إن لم تحطك رعاية الله من كل جانب هلكت!

الحياة مزرعة مليئة بالأمراض والأتعاب والأشباح والخطط والمؤامرات، وبدون رعاية الله ستبتلعك هذه الأفاسی !!

لا أخوْفُكَ، هذِهِ الْحَقْيَةُ!

قل : يا الله توكلت عليك ..

هل قلتها بقلبك؟ الآن ابتسِم ، كل تلك الأفاسِي انتهت!

■ أشياء تهدّدك

إذا خرجم من البيت ينتظرك في الخارج :

حادث أليم يقع لك ، أو هبة هواء تمرضك ، أو حفرة تقع فيها ، أو شخص بذيء يشتمك ، أو إنسان حقود يحسدك ، أو موظف معقد يتبعك ، أو باع غشاش يخسرك ، ولكن قل عندما تخرج ما أوصاك به نبيك الكريم : «سِمِ اللَّهُ تَوَكِّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»^(١) الآن اخرج مستنشقا التوفيق والتيسير بإذن الله ، كل تلك المخاوف لا وجود لها ..

وإذا نمت الجي ظهرك إليه وفوض أمرك إليه رغبة ورهبة إلهي ..

في كل حين وفي كل لحظة تذكر ، هناك رب أمرك أن

(١) أخرجه أبو داود في سنته (٤٨٦/٤ - ٥٠٩٦).

تتوكل عليه، وأنت تحتاجه، لا تفرّط في هذه الفرصة، وهذه
الهدية، وهذه الميزة أبداً.

اللهم اجعلنا متوكلين عليك، ملتجئين إليك، اغمرنا
بالإيمان بك، واجعل هذا الإيمان يغسلنا من التعلق بكل ما هو
دونك يا رب ..



الشّكُور

مع كرم الله تتغير المسائل الحسابية !!

لأنه كرم لا يخضع للمعادلات الحسابية، بل للفضل الإلهي !!

الشكور

من المؤكّد أنه قد سبق وأسدّيت لأحدّهم معروفاً ثم تنكّر
لـك؟ نسيّك مباشّرة! لم ينعكس ذلك المعروف على صفحات
وجهه! بقي مقطّبًا كما كان!
تجربة مؤلمة ولا شك ..

الحياة مليئة بهؤلاء الذين لا يعرفون كلمة: شكرًا ..
ولا يتقدّمون النطق بعبارة: أحسن الله إليك، وتعتبر الابتسامة
لديهم من علم الغيب!

دعهم، فعمرك أقصر من أن تضيّعه في لومهم، أو التفكّر في
مملكة النُّكران التي قرروا العيش فيها! وانصرف إلى «الشكور»
سبحانه، لتحبّي أزاهير قلبك التي حطّمتها هؤلاء ..

عش مع الشكور، تأمّل ظلال هذا الاسم العظيم، امسح
تجعدات الحياة المتّعبه بمعاني هذا الاسم الجليل ..

■ إذا أعطاك أدهشك ..

سبحانه يشكر عبده على ما قدم من عمل صالح .. وكلمة «عمل صالح» لا حدود لها، تكاد لعظمتها واتساعها تملأ ما بين السماوات والأرض!

فهو سبحانه يأمرك بهذا العمل الصالح الذي فيه صلاح دنياك وأخرتك فإذا عملته، يكون سبحانه هو المستحق لشكرك لدلالتك عليه، وتسيره لك، وإصلاح حalk به، أليس كذلك؟ ولكنك بكرمك هو من يشكرك عليه!

فهل في الكرم مثل هذا؟ وهل في الجود قريب من هذا؟
كيف يشكرك؟

هذا سؤال تفني الأعمار دون الإجابة عنه ..
فكما أن ذاته سبحانه لا تدركها الأ بصار، فإن أسماءه وصفاته لا تدرك كيفيتها ومتى علمها العقول.

ومع ذلك فلنا من باب التفكير والتدبر أن نسيح مع هذا الاسم العظيم نستجلي ظلاله في حياتنا ..

فمن شكره سبحانه:

يغفر الذنوب ويستر العيوب ..
يوفي الحسنات ويعظم الأجور ..

يعطي الصحة والعافية، والأبناء، والمال، والحياة الهانئة ..
يرزقك الذكر الحسن والسمعة الطيبة ..
 يستجيب دعواتك، ويشعرك بقربه، ويؤنسك به ..
 يشفيك من أقسام مات غيرك بمثلها ..
 ويرفع عنك بلايا تضعضعت نفوس غيرك بأقل منها ..
 يهديك إلى الحق، وقد ضل الكثير عنه ..
 ويثبتك على الهدى، وقد زاغت عنها أفتدة من هم أذكى
 منك وأعلم منك وأقدم في الإسلام منك!

■ مسألة حسابية

اقرأ وتخيل :

﴿مَثُلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَثُرَ حَجَّةُ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مِائَةُ حَجَّةٍ﴾ هل انتهت؟ لا : ﴿وَاللَّهُ يُصْنِعُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ سبحانك!

حجّة في العمل تتحول بفضله وبكرمه وبشكره لك إلى
سبعمائة حجّة في الأجر والثواب.
كيف : واحد يساوي سبعمائة !

تعمل صالحًا يستحق أجراً مثله، فأجرك الله مثله سبعمائة

مرّة، ويضاعف لمن يشاء!
مع كرم الله تتغيّر المسائل الحسابية!! لأنّه كرم لا يخضع
للمعادلات الحسابية، بل للفضل الإلهي!!

سبحانه! إذا أعطاك أدهشك، وإذا أكرمك أذهلك .. ومن
ذا الذي لم يعطه العظيم ويكرمه الكريم؟ نحن في كل لحظة من
حياتنا بل في كل جزء من اللحظة نستقبل ما لا يمكن إحصاؤه من
العطایا والهبات!

■ واذكر في الكتاب

هؤلاء أنبياءه عملوا الصالحات وجاحدوا لتبلیغ كلماته،
فسکرهم بأن أعلى ذكرهم وجعلهم قدوات يقتدى بهم وخلد
قصصهم وعبرهم في أعظم كتبه، وحمى أعراضهم فلم يبع لأحد
أن يستنقص من قدرهم أو أن يسيء الظن بهم، وغير ذلك من
شکره لهم تَبَقْلِيل.

ولذكرهم في كتابه مزية أستشعرها دائمًا!
عبد من العبيد، خلقه الله بقدرته، لم يكن شيئاً مذكوراً، ثم
يقول عنه:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَبِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَّيِّنًا﴾

﴿وَذَكْرٌ فِي الْكِتَبِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخَلَّصًا﴾

﴿وَذَكْرٌ فِي الْكِتَبِ إِسْمَاعِيلٌ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾

﴿وَذَكْرٌ فِي الْكِتَبِ إِدْرِيسٌ﴾

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ توقف قليلاً، أكمل الآن: ﴿نَعَمْ الْعَبْدُ﴾

الملك العظيم يقول عن عبد من عبيده: نعم العبد!

يا الله، ما أعظم كرمه إذا أراد أن يكرم!

وإذا نظرت إلى شكره سبحانه لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وكيف أنه قسم له رحمته ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ واختصه برسالته ﴿الَّهُ أَعْلَمُ حِيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ وكان معه في جميع أدوار حياته ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وحمله بأجمل الأخلاق ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

بل انظر كيف أنه قرن اسمه باسمه في الأذان وفي الشهادة،
قال حسان:

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه

إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ...

فذو العرش محمود وهذا محمد

وهؤلاء الصحابة الذين بذلوا أرواحهم وأعمارهم وأموالهم
نصرة للدين شكرهم بأن جعل الكلام فيهم من علامات النفاق،

ورضي عنهم، وضاعف أجر أعمالهم وعدّلهم جميعاً بلا استثناء، وجعلهم خير القرون، وقال فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا يَعْمَلُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وقال: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسْنَى﴾، والأحاديث في فضل عمومهم وأعيانهم أشهر وأظهر من أن تذكر، وكل هذا شيء من شكر الله لما قاموا به من تصدق وجهاد وبذل.

■ مثقال الذرة

فكما يشكر الكريم من عمل معروفاً، فكذلك سبحانه وله المثل الأعلى يشكر شكرًا يليق بكرمه وبعزته وعظمته، شakra لا كالشکر، فهو شکور لأن الشکر الواحد منه أعظم من كل شکر، وهو شکور لأن العمل الواحد منك يشکره المرة تلو الأخرى، وهو الشکور لأنّه يشکر العمل الكبير والعمل الصغير بشرط أن يكون خالصاً صواباً، فهو لا يشکر الأعمال العظيمة فقط بل حتى مثقال الذرة منك يشکره وينميه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ فقد أدخل امرأة الجنة بشق تمرة، وبغياناً بأن سقطت كلباً، وثالثاً كل حياته ذنوب فأمر أبناءه أن يحرقوه ويذروه بعد موته خوفاً من أن يعذبه الله، فأدخله الجنة بأن خاف منه، ورابعاً ليس له إلا حسنة واحدة لأنّه تصدق بها على

صاحبها، وخامسًا قتل مئة نفس! لأنَّه هاجر إليه ..

ومن شُكره سبحانه أن يعجل بثواب المتصدق، فيرزقه بركة
ويغدق عليه من نعمه، يخبرنا عليه الصلاة والسلام «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
صَدَقَةً عَبْدِهِ بِيَوْمِهِ وَيُرِيكُمْ كَمَا يُرِيكُمْ فَلَوْمَةً»^(١)، وهذا من
شكره وفرجه سبحانه بطاعة عبده!

يخبرني أحد سُكَّان المنطقة الشرقية قبل عشر سنوات عندما
كنا واقفين عند متجر شهير عن قصة ذاك المتجر، يقول: كان
صاحبها موظفًا عاديًّا يجمع من مرتباته، وتجمّع زوجته من
مرتباتها كي يبنوا بيت العمر كما يقال، ولما شارف المبلغ أن
يُجمع صلى الزوج في مسجد وسمع كلمة من أحد الدعاة حث
فيها على بناء المساجد وأنَّه «مَنْ بَنَ لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمْ فَحَصَّ
قطَّا إِنَّ اللَّهَ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(٢) وقعت تلك الكلمة من الرجل
موقعها، فانصرف من ليلته إلى زوجته وأخبرها بنيته أن يجعل
كامل المبلغ في مسجد بيته، فإذا بزوجته تدفع له مالها عن طيب
خاطر وتطلبه أن تشاركه في مشروع المسجد!

لَكَ أَنْ تتخيل كيف تغيير خطتك التي بذلت لأجلها عرق

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤١٠/٢-١٠٨)، ومسلم في صحيحه (١٠١٤/٢-٧٠٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سنته (٤٩٨/٢-٧٨٧).

سنين في ليلة! ويكون ذلك التغيير لله عَزَّ وَجَلَّ ونابعاً من قلب حيٌّ
يريد الله والدار الآخرة!

يقول صاحبي: بعد بناء المسجد أخذوا في الجمع من جديد ولعل فكرة التجارة قد طرأت على عقل الزوج فافتتح متجراً صغيراً، فإذا بالزبائن يأتون من كل مكان وإذا بالأموال تمطر عليه فوسيع الرجل متجره ثم بعد مدة فتح له فرعاً ثم الثاني والثالث، يقول صاحبي: والآن له في المنطقة الشرقية فقط ثلاثة عشر فرعاً، وهذا الكلام قبل عشر سنوات، سبحان الشكور، سبحان

من لا يخسر أبداً من يتاجر معه.

لقيت رجلاً قال لي إن اسمه فلان بن فلان الرحيلي، فقلت له ممازحاً: هل أنت صاحب محطة الرحيلي الشهيرة في مدينة جدة؟

فقال لي: لا، ولكنه قريبي!

ثم قال سأخبرك بقصة الرحيلي هذا، كان في بداية حياته كثير الصدقة على الفقراء، وكان يعول الأيتام، وكان محسناً على بعض أهله إحساناً زائداً، ثم فتح الله عليه فكانت له هذه المحطة وغيرها من الأعمال التجارية الناجحة، هذا ما يعمله الشكور الحميد سبحانه.

■ أَنْفَقَ .. أَنْفَقَ عَلَيْكَ

يقول عليه الصلاة والسلام: «مَا نَقَصَ مَا لِ إِيمَانٍ مِّنْ صَدَقَةٍ»^(١)، يجب علينا أن نؤمن بهذا الكلام إيماناً عميقاً، وهذا ربنا يقول في الحديث القدسي: «يَا عَبْدِي أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ»^(٢) فإذا وضعت ريالاً في كف فقير فشق أن الله سيضع لك من فضله ما يوازي بل ويتفوق ذلك الريال صحة ورضا وعطاء وفضلاً.

طالب جامعي فقير سمع وهو يسير لصلاة الجمعة رجلاً يهتف بقرب صندوق التبرعات ويبحث الناس قائلاً: عبدي أَنْفَقْ أَنْفَقَ عليك ، فتش جيه فإذا بثروته كلها خمسة ريالات ، فأخرجها وأودعها صندوق التبرعات ، كان في قلبه صوت اليقين يقول: لقد أَنْفَقْتُ يا ربى بفقرى ، فأنفق علىي بعناك ! في المساء زار أخيه فأخبره هذا الأخ (دون أن يعلم بحاله) أن جمعية مالية قد حلّت في حسابه وهو لا يحتاجها كلها ، وبعد ممانعة استقطع منها ألفين وأعطتها صاحبنا .. لقد أَنْفَقَ الله عليه !

قرأت قديماً في إحدى المجالس قصة كتبتها صاحبتها: أن سائلاً طرق بابهم في صباح يوم فأخرجت من محفظتها آخر مئة ريال وأعطتها ذلك السائل ..

(١) أخرجه الترمذى في سنته (٤٩٥-٢٤٩). (١١١/٩).

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه (٧٣/٦-٤٦٨٤)، ومسلم في صحيحه (٩٣٣-٢/٦٩٠).

وكانت روحها تهمس: يا الله العشة أضعاف، العشة
أضعاف ..

دخلت المطبخ وصنعت فطورا لها ولزوجها، استيقظ الزوج
وجلس على المائدة وبينما هو يتناول طعام الإفطار إذ به يتذكر
ويقول: هناك على تلك الطاولة ظرف لك استلمته البارحة من
البريد، قامت الزوجة لترى ما في الظرف، فإذا به شيك بنكي
أجرة مقالة كتبها في إحدى الصحف ومن العجيب أنها كانت:
ألف ريال عدّا ونقدا!!!

■ وافلوا الخير ..

ولائي أعيذك أن تكون تعليقاتك وإراداتك كلها دنيوية، فكثير
من الجزاء يدخره الله لك أحوج ما تكون إليه في الآخرة ..
ومن أوضح صور الشكر الرباني هو ما افترن ببر الوالدين
من تيسير في العيش وتوفيق في جميع الشؤون، حتى كأن النجاح
في الحياة حصر على أصحاب البر، يمكنك أن تستعرض من
تعرفهم من الناجحين، ستجد ببر الوالدين جاماً مشتركاً بينهم،
ولا بد!

يقول سبحانه: ﴿وَافْعُلُوا الْخَيْر﴾ ..

ومهما كان هذا الخير صغيراً، فإن الشكور يشكّره **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾** لا بد أن يرى جزاءه!
ومع أن النّرة لا تكاد تُرى إلا أنك إن فعلت خيراً بقدرها
فإنك ستراه يوم القيمة ينتظرك، ليهجّك به سبحانه ويربط على
قلبك في يوم يجعل الولدان شيئاً ..

عندما تحرّص أن تطفئ نور سيارتك عند إشارة المرور حتى
لا تزعج من هم في الشارع المقابل، قد لا يعلمون بمقصدك، بل
حتى لا يتبهّون لفعلك، لكن احذر أن تظن أن الشكور لن
يكافئك، كيف؟ لا يهم، من الممكن أن مريضاً كان سيخطف
بصرك، أو حادثاً كان سيتلف سيارتك، أو مشكلة كنت ستقع فيها
وvak الله منها شكرًا لك على صنيعك النبيل.

حرصك على فتح الباب ليلاً بلطف حتى لا تزعج النائمين ..
انتظرارك وأنت ممسك بباب المسجد لكيّر في السن حتى
يدخل ..

تفاديك أن تدهس قطة عابرة ..

ابتسماتك لطفل ..

ترتيبك لغرفة في منزلكم ..

دعاؤك لمسلم مات، بسبب أنك متيقن أن لا قريب له يدعو
له ..

إغلاق صبور ماء كان غير محكم الإغلاق ..
رفعك غصناً ملقى على الطريق ..
كل هذا من الخير «وَافْعُلُوا الْخَيْرَ» ..

■ اسكت ..

ومن أجل وأحسن الخير أن تمسك المصحف لتلاوة
وردك، ثم تقع عينك، بل يقع قلبك على خير يحثك الله على
فعله فتضمر في نفسك ألا ينقضي يومك ذلك إلا وقد أتيت منه ما
استطعت، إنك بذلك تفعل أعظم ما يمكنك فعله، إنك تفعل
الشيء الذي لم ينزل الله القرآن إلا لتفعله!

أما إن سألت عن أعظم خير يمكنك فعله، فهو أن تسلم
 وجهك لله! أن تحيا مسلماً، وتعبد الله مسلماً، وتعامل الناس
مسلماً، وتنظر وتتكلم وتشعر مسلماً، ثم تموت مسلماً!

سئل الإمام أحمد: من مات على الإسلام والسنّة، مات
على خير؟ فقال لسائله: اسكت، بل مات على الخير كله!
يقول سبحانه: «وَمَا لَقِيْمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ حَيْثُ تَحْدُوْهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» ..

أي خير تقدّمه لنفسك، ستجد أن الشكور الحفيظ حفظه ونمامه فتأتي يوم القيمة تجده عنده موفوراً قد عظم وبات أكبر من يوم أن فعلته!

﴿وَمَا تُقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ يَحْدُثُهُ إِنَّ اللَّهَ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾

﴿وَمَا يَعْلَمُونَ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكَفَّرُوهُ﴾.

وفي الأثر الضعيف المتن الحسن المعنى: «صَنَاعُ الْمَعْرُوفِ تَقَى مَصَارِعَ السُّوءِ»^(١) وهذا من شكره، فلم يضيع صنيعك الحسن بل سيجعله وقاء لك عن أن تموت ميتة سيئة! لذلك فشعورك أنه سبحانه الشكور وأن الخير كلّه منه يجعل العبد على ثقة بربّه محسناً الظن به سبحانه.

■ إلى أين؟

قيل لأعرابي: إنك تموت! فقال: ثم إلى أين؟ قيل: إلى الله! فقال: كيف أكره أن أقدم على الذي لم أر الخير إلا منه؟ شعور عظيم ورجاء بالله كبير ذلك الذي يملاً فؤاد هذا الأعرابي، يقرّه عليه القرآن الكريم حين يقول الحق سبحانه:

﴿وَمَا يَكُمْ مِنْ يَعْمَلُ فَمِنَ اللَّهِ﴾

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٨٠-٤٦٢).

كل شيء؟ نعم كل شيء يحوطك من الصحة والمال
والراحة والتيسير والرضا هو منه ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ..

تعبده ستين أو سبعين سنة، أكثرها دون التكليف أونوم
أو في عمل المباحثات، ومع ذلك يكافئك عنها بجنة عرضها
السماءات والأرض، تسكنها الأبد كله!

فإن كان سبحانه يعطي لا على شيء، فكيف إذا كان هناك
شيء؟ كيف إذا فرقت بينك وبين بقية عباده الذين يرزقهم ويتحبب
إليهم بالنعم بأن عملت صالحًا يرضاه، عند ذلك لا يجوز لك أن تعتقد
أن لن يكرمك الكريم ويشكرك الشكور ويحمدك الحميد سبحانه.

■ انتشال

ثلاثة يلجهن المطر إلى غار فيصيرون وقد أطبقت صخرة
عظيمة بابه فلا يستطيعون الخروج، فيتهلون ويتولون إلى الله
بصالح أعمالهم، فيكون شكره لهم سبحانه بأن يجعل مكافأة
العمل أو جزءاً من مكافأة العمل جزءاً من تفريج ذلك الكرب
وزححة تلك الصخرة العظيمة، وما إن انتهى ثالثهم حتى
انفرجت الصخرة وخرجوا يمشون في الشمس!

يبدل عيسى عليه السلام عمره له سبحانه، منذ أن نطق كلمته

الأولى في المهد وهو عبد الله، فيتأمر ضده شرار بنى إسرائيل ليقتلوه، فيكون شكره له سبحانه من أغرب الشكر، رفعه إليه! هكذا انتسله من بؤرة الهم والمكائد والقلق، وجعله في سماواته يعيش مع ملائكته وخيار خلقه ..

إنك مع الله في ريح دائم ..

والله هو القادر على انتشالك مما أنت فيه، أعلم جيداً أن لديك من الهموم والクロب ما لا يتناسب مع النجاة منها إلا لحظة (انتشال)، اعمل الخير، ليتششك الله به، كما كان تسبّح يونس سبب انتشاله من بطن الحوت.

إنك تتاجر مع ذي الكرم المتناهي وذي الشكر المتناهي وذي الفضل المتناهي.

ليست هناك احتمالية خسارة في سوق الله من يسير أمرها، فكن معه ثم ارقب أفضاله وشكره .. لن يتركك، ثق بذلك، لن تسجد لله سجدة إلا ويشكرك عليها شكرًا يليق به وبكرمه، فقط كن معه.

اللهم أوزعنا أن نشكر نعمك .. واجعلنا لك ذاكرين، ولنعمك شاكرين .. واهدنا لأعمال تجزل لنا عليها الشكر يا شكور يا حميد.

الجَبَار

كُلُّمَا انطَفَأَ حَلْمٌ خَلَقَ اللَّهُ لَكَ حَلْمًا أَجْمَلَ ..
وَكُلُّمَا بَهَتَتِ فِي قَلْبِكِ ذَكْرِي صَنَعَ اللَّهُ لَكَ ذَكْرًا أَرْوَعًا!

الجبار

هل هشّتك الظروف؟ وتوطأت ضدك الكروب؟ وتكلبت
عليك الأزمات؟

هل غير الفقر ملامحك؟ وأجدبت الأمراض حقولك؟
وجعلك اليتم تبدو ضئيلاً؟ وأحاطت بك النزارات المُهينة؟
روحك المنكسرة، قلبك المهزّم، أنفاسك الضعيفة تحتاج
إلى من يجبر التهّشّ والضعف والانكسار؟ لماذا لا تعرف على
اسم «الجبار» لتجبر بمعانيه الرحيمة كسورك؟ وتضمد بظلاله
جروحك؟ وتهديء بنسائمه عواصف روحك الهوجاء؟

■ قلبك المهزّم .. كيف تهشّم؟

من معاني اسم الجبار: الذي يجبر أجساد وقلوب عباده.
فالعيش في كتف الإله يمدّنا بمراثم الصحة، وضمادات
السعادة، ومسكّنات الأوجاع، ومضادات الهموم.
فهو سبحانه علم أن كسوراً ستعترى عباده في أبدانهم

وقلوبهم وحياتهم، كسوراً ترك ندوتها على جماهم، وآثارها
على أرواحهم، لذلك تولى جبرها برحمته، وسمى نفسه بالجبار،
ليعلم عباده أنه هو القادر على جبرها فيلتتجئون إليه.

انكسارات الحياة عديدة:

حدث تكسير فيه العظام، إهانة تحطم منها النفس، فقر
تحني معه الروح، مرض تهار عنده القوى، عقدة تحاصر
الضمور، رُهاب يخنق عفوتك، كُره تمرد معه أحاسيسك،
ظروف تجعلك تنكس رأسك!

وقدر هذه الانكسارات تفتح أبواب السماء بضمادات
الرحمة ومجبرات الود!

كم من يتيم تكسير نفسه نظرة صاحبه المتغطرس، ولو لا
الجبار لتحطمت نفسه للأبد.

وكم من ضعيف صفعته الحياة بيد أحد الأقوياء، ولو
الجبار لظلّ منعني الرأس طول الحياة.

وكم من فقير أذله كلمة قالها له أحد الأثرياء، ولو لا الجبار
لبقت تلك الكلمة وصمة يعيّر بها طيلة عمره.

يُجبر الكسير، ويُساعد الضعيف، ويُرفع من شأن الصغير،
ويقدم المتأخر، تضمد رحماته جراح النفوس ..

نعرف نحن أشخاصاً عانوا من شدة آبائهم ومع ذلك خرجنوا
غاية في الرحمة!
عانوا من سخرية أقرانهم، ومع ذلك صاروا متميزين
ناجحين!

عانوا من الأنمياء، والسل، وحساسية الصدر، وكبروا
فصاروا أصحاب أقوباء!
أين تلك العقد، وأين آثار تلك الأمراض؟ لقد جُبرت، لقد
أذهبتها ضمادات الرحمة، لقد قدر الجبار أن تخفي ..

■ واجبني

شرع لنا أن نقول بين السجدتين: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي
وَاعْفُنِي وَارْزُقْنِي وَاجْبِرْنِي»^(١).
(واجبرني)! وكأننا نتكسر في اليوم كثيراً فنحتاج أن يجربنا
الله كثيراً!

قبل حوالي ثمانين عشرة سنة ماتت ابنة أخيتي الوحيدة بين
يديها، صرخت صرخة اختناق سمعتها من الغرفة المجاورة،
كانت الصرخة الأخيرة! فدخلت على أمها قبيل الفجر وفي قلبها

(١) أخرجه الترمذى في سنته (٢٨٤/٢-٧٦)، وابن ماجه في سنته (٨٩٨/١).

من الحزن والانكسار ما نمت عينها وتنهداتها به، فأرشدتها إلى الدعاء الوارد «اللَّهُمَّ أَجْرِنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَحْلِفُ لِي خَيْرًا مِنْهَا»^(١) فقالت ذلك الدعاء وصوتها يتهدّج من وقع المصيبة، فارتّفت كلماتها المنكسرة إلى من يجبر قلوب عباده فعوّضها عن ابتهااليوم ببنين وبنات رزقها الله برّهم وأفضل عليها وعلينا من عطاءاته.

إذا التهبت نفسك، إذا احترق أحلامك، إذا تصدع بنيان روحك فقل : يا الله ..

■ واحلل عقدة من لساني

في العام الفائت التقى طالباً لديه عقدة في لسانه، لا يكاد ينطق بكلمة دون أن يعيدها عدة مرات! أمسكته ونصحته ألا يسجد سجدة لله إلا ويدعو: واحلل عقدة من لساني يفقهوا قوله .. التقى هذه السنة فإذا به كأوضح ما يكون، سأله - وقد نسيت نصيحيتي - عن السبب، فقال: دعاء واحلل عقدة من لساني!

لقد حلّ الجبار تلك العقدة ..

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٩١٨) / (٦٣١).

إِنَّهُ الْجَبَّارُ، مَا مِنْ أَسْيَ إِلَّا وَهُوَ رَافِعُهُ، وَمَا مِنْ مَرْضٍ إِلَّا
وَهُوَ شَافِيهُ، وَمَا مِنْ بَلَاءٍ إِلَّا وَهُوَ كَاشِفُهُ ..

تَزَاحِمُ الْآلَامُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ حَتَّىٰ مَا يَظْنُ أَنَّ لَهَا كَاشِفَةً،
فَإِذَا بِالْجَبَّارِ يَجْبِرُ ذَلِكَ الْقَلْبَ، وَبَعْدَ أَشْهُرٍ يَنْسِيُ الْعَبْدُ كُلَّ آلَامِهِ
وَأَوْجَاعِهِ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَذْهَبْهَا فَحَسْبٌ، بَلْ جَبْرُ الْمَكَانِ الَّذِي
حَطَّمَتْهُ، فَعَادَ كَأَنَّ لَمْ يَتَهَشَّمْ بِالْأَمْسِ!

يَجْبِرُ الْقُلُوبَ وَالْعُظُمَ وَالنُّفُوسَ وَيُقْدِرُ أَنْ تَتَداوِيُ الْجَرَاجُ،
وَتُكَفَّكَ الدَّمْوَعُ سَبْحَانَهُ.

إِذَا رَضَّتِكَ الْهَمُومُ، وَغَشِّيَتِكَ الْكَرُوبُ .. فَلَا تَطْلُبِ الْبَكَاءَ،
سَجَادَةٌ تَوَجَّهُ إِلَى الْقَبْلَةِ، تَقْضِيُ عَلَىٰ تِلْكَ الْهَمُومِ وَالْكَرُوبِ فِي
لَحْظَاتٍ بِإِذْنِ اللَّهِ!

■ يَحِبُكَ مِبْتَسِمًا

جَلْسٌ بِانْكَسَارٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ، جَيْهٌ خَاوِيٌّ
إِلَّا مِنْ رِيَالَاتٍ لَا تُصْنَعُ أَمَامَ احْتِيَاجَاتِ الْحَيَاةِ شَيْئًا، يَكَادُ النَّاظِرُ
إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِ يَدْرِكُ مَدْرِكَ الْفَاقَةِ، وَكَمِيَّةُ الْخَدُوشِ الْمُتَنَاثِرَةِ فِي
نَفْسِهِ، وَلَكِنَّ الْجَبَّارَ كَانَ يَنْظَرُ إِلَيْهِ مِنْ أَعْلَىٰ سَمَاوَاتِهِ، فَمَا كَتَبَ
عَلَيْهِ تِلْكَ الْلَّيْلَةِ أَنْ يَنْامَ إِلَّا وَقَدْ سَدَّ فَاقْتَهُ بِمَا لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهُ
أَوْ يَتَخَيلُهُ!

يحبك سبحانه مبتسماً، فيصنع من جميل أقداره ما يعين
ثغرك على الافتخار، ويجعل الابتسامة تطرد ملامح الكرب عن
وجهك.

إذا رأيت منكسرًا فاجبر كسره، كن أنت الذي يستخدمك
الله لجبر الكسور، لا تنم وجارك جائع، لا تضحك وأخوك
ييكي، لا تنعم بدبء بيتك وهناك من هدهدت رياح الشتاء
أبدانهم الضعيفة.

■ العربية ..

يقول صاحبي: رأيت عجوزاً تدفع عربة بقرب الحرم مليئة
بالحاجيات، كانت السنوات قد شققت جلدتها بما فيه الكفاية،
رأى فيها أمّه، فبكى كل شيء فيه، وكان آخر ما بكى عيناه،
أخرج كل ما في جيده ودسه في يديها ونفسه تقاد تسقط من
الحزن على تلك المسكينة ..

يقول: لم يذر في خلدي أني أتكرّم عليها، أو أن الشكور
الحميد سيشكّرني، كنت فقط أرتق شرخاً جلبيه صورتها
المنكسرة في نفسي، ولم أفلح!
لم يمض ذلك الشهر إلا وأضخم مبلغ يحصل عليه في

حياته موعد في حسابه البنكي !

لن يدعك الله تجبر كسور الضعفاء ثم لا يشكرك، فهو
الشكور الحميد ..

كن بلسماً إن كان (حالك) أرقما

وحلاوة إن صار غيرك علurma

كن النافذة التي يتسلل منها الهواء الشفيف على النفوس
التي خنقتها أدخنة الحياة الصعبة، تخلق بخلق الجبر، كن اليد
العليا .

يزور النبي ﷺ اليهودي المريض !

يكتنس أبو بكر رضي الله عنه بيت العمباء ويطيخ لها طعامها !

يموت عبد الله بن المبارك فيفقد القراء تلك الأرزاق التي
كانت توضع عند أبوابهم قبيل الفجر، فيعلمون بعد موته أنها منه !

يموت أحد خصوم ابن تيمية فيشرّونه بذلك، فيغضب
ويذهب مباشرة إلى أهله وأبنائه فيعزّيهم ويقول لهم: أنا
كوالدكم، لا تحتاجون شيئاً إلا وأخبرتمني !

كانوا منشغلين بالمهمة العظيمة، مهمّة جبر القلوب
المنكسرة، كان الله يستخدمهم لذلك الشرف العظيم ..

أخبرني صاحبي وقد كان طالبًا في جامعة أم القرى أنه وفي طريقه إلى الجامعة لقي معتمرًا يسألة عن مركز الشرطة، أخبره صاحبي أنه مستعجل فموعد مادة النقد قد شارف على البدء والتي كان الأسبوع القادم هو موعد الاختبار (الصعب) فيها، ومع ذلك فقد أركبه ليقرئه من وجهته، وفي السيارة أخبره أنه وقبل ثلاثة أيام فقد في الحرم محفظته وجواله وجواز سفره وكل ما يثبت شخصيته، أصبح مجهول الهوية، لا يستطيع الأكل ولا الميت ولا التواصل مع أحد! قال ذلك المعتمر لصاحب: لقد تعبت -وعند هذه الكلمة بالذات أجهش بالبكاء - ثلاثة أيام وأنا أتكفف الناس وأنام في الشوارع .. كان منكسرًا بدرجة كبيرة!

يقول صاحبي إنه واسأه، وذكره بالله، وقال له: إن الله لم يُفقدك هذه الأشياء في الحرم حتى تذل لغيره، فقط اسجد له واطلبه وسوف يحبوك، ثم أعطاه ثلاثة وثمانين ريالاً، هي كل ما وجده في جيده، وأنزله وقد رأى ملامح الابتسامة على ثغره ..

بعد أسبوعين ظهرت درجة اختبار مادة النقد والذي لم يحل فيه أي فقرة لصعوبته، وقد وطن نفسه على الرسوب فيها لأنه يستحق فيها الصفر! فإذا بها ثلاثة وثمانين درجة من مئة! عدد الولايات التي أعطاها ذلك المعتمر باتت عدد الدرجات التي

نالها في الاختبار! بلا زيادة ولا نقصان!!

نعم، أشياء كلّما حاولت أن تنكر وجودها، ظهرت بشكل
أوضح وأصرّح، كلما قررت ألا تسمعها صرخت بصوت أكثر
إدهاشاً، إنه الله يا صاحبي إنه الله ..

لما استعمله الله في جبر كسر ذلك المعتمر شكره ..



■ حجرة الخادم

إذا طرقوا أبواب الملوك، فاطرق أنت بباب الملك الأعظم ..
إذا وقفوا بذل بساحة أمير، فقف أنت بساحة الإله الأكرم ..
إذا سافروا من مستشفى إلى مستشفى، فقم بالليل وقل:
يا الله ..

بيده مفاتيح الفرج، الشفاء له خزينة عظيمة القدر والحجم،
أتعلم أين هي تلك الخزينة؟ إنها عند الله!

﴿وَإِنْ مَنْ شَاءَ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾

السعادة كذلك لها خزينة، الأمان أيضاً، والراحة، والرضا،
أترك من بيده ملکوت كل شيء، وتنصرف إلى عبد لا يملك
لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ..

كم هو مضحك أن يترك زائر ملك من ملوك الدنيا الانشغال
بالحديث مع الملك ليدخل إلى حجرة الخادم ويتحدث إليه!

نحن نفعل ما هو أكثر إضحاكاً من هذا حين نترك مناجاة
ملك الدنيا والأخرة سبحانه وطلبه ما نريد ونذهب في رحلة
علاجية إلى واشنطن أو إنجلترا ونعود بعد أشهر معنا الخيبة
والخسارا!

والكلام ليس عن طلب العلاج، فهو مشروع، بل عن
التعلق بالملحوظ، ونسيان الخالق ..

■ الحلم .. والذكرى

عش أياما مع الجبار، أمِّ معانيه الجليلة على جروحك،
اجعلها البلسم لعذابات روحك، أيقظ بها أزاهير الفرح في
نفسك، اصنع بتأملاتك فيها شمس حياة تقضي على الخواء الذي
كنت تعيشه.

ينزل رسولنا ﷺ من الطائف محملا بقدر عظيم من الحزن
والحرقة والانكسار، بعد أن أدمى السفهاء عقيبه الشريفتين
بالحجارة، يراه ملك الملوك، ملك الدنيا والأخرة، يراه حبيبه
 سبحانه، يرى قلبه المكتظ بالأهات، فيرسل جبريل ومعه ملك

الجبال، لينهي تلك الحُرْقَ، يرسله في مهمة خاصة، مهمة تتعلق
بِدِكْدِكةِ الجبال الراسية!

فينظر ملك الجبال إلى النبي ﷺ وهو في أحزانه التي جعلته
يمشي من الطائف فلا يفتق إلا بقرن الشعالب، فيقول: أمرني الله
أن أمتثل لأمرك يا محمد، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين
فقلت! (١)

إذا أراد أن يجبر كسرك، أهلكَ مدينة بأكملها لأجلك!
ولكنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام يستأني بهم ويعفو عنهم ..
عندما لذعت السخرية بسياطها الحارقة قلب نوح، نظر إلى
السماء ودعا ربِّه: ﴿أَنِّي مَعَلُوبٌ فَانْصِرْ﴾، ففتح الملك سبحانه
أبواب السماء بما منهمر، أغرق الكرة الأرضية لأجل نوح
!!

هل يستطيع غير الله أن يجبر كسور الروح بمثل هذا؟
بعض الأشخاص يظنون أن من مهماتهم تدميرك، السخرية
بك، إظهارك بحجم صغير جداً أمام رفاقك! ولو لا الجبار
لطحنتك مكائدهم ..

(١) أخرج أصل القصة البخاري في صحيحه (٣٢٣١/٤-١١٥)، ومسلم في صحيحه
.(١٧٩٥-١٤٢٠/٣)

يدخلون إلى عينيك ليسرقوا أجمل أحلامك .. ويتسلون
إلى قلبك ليمسحوا أروع ذكرياتك! وكلّما انطفأ حلم خلق الله
لك حلماً أجمل، وكلّما بهتت في قلبك ذكرى صنع الله لك
ذكرى أروع!

■ فنجان قهوة!

وقد زود الجبار حياتنا بمجبرات ومضمادات وأدوية، نعلم
بعضها، ونجهل أكثرها خلقها وأودعها في كونه لأجلك، حتى
تبسم، وتعيش حياة كريمة، حتى تفرّغ لعبادته.

تلائم جروحنا عندما نتناول الدواء الناجع لها، وعندما نأكل
الطعام الصحي، وعندما نشرب الماء النقى.

تصحّ أرواحنا لـمَا نرى الابتسامة على أوجه الآخرين،
وحيث نشعر بأكفهم تربت على أكتافنا، وعندما نسمع الكلمة
الطيبة.

تجاوز عقدينا عندما نصادف قلباً ينبض بحبيّنا، ويداً تمتدّ
لمساعدتنا، وفنجان قهوة نرتشفه بمعية من نحب.

هناك أشياء تلائم داخلنا عندما ننظر للطبيعة الجميلة،
ونسمع خير الماء، ونحدّق في العصفور وهو يُطعم فراخه.

الصلاوة تردم هوة اليأس في أرواحنا، وسبحان ربِّي العظيم
تخلق فرحاً نجد طعمه في ألسنتنا، وسبحان ربِّي الأعلى تحلق بنا
حول العرش.

دعوات الوالدة دفء في شتاء الحياة، وزيارة الصديق متعة
في صخب العيش، وسؤال الجار عنك يلؤن لوحه نفسك
الرمادية.

عصير البرتقال يجبرك على الابتسامة، وقطعة الحلوى التذاذ
خاص، والحمام الدافئ شعور بانحسار الألم.
الحياة مليئة بالمجرّبات، وربنا يريدنا أن نسعد، أن نبتسم،
أن نحيا حياة جميلة

■ كن ساجداً

ما الذي يبْطِئك عن الله؟
ما الذي يجعلك تتأخر عن الانضمام لركب الأوّاهين
الأوّابين، الذين يرثّلون كلامه في جوف الليل؟
شكل الجنين في بطن أمّه قريب جداً من شكل الساجد لله!
فكن في حياتك ساجداً كما كنت في بطن أمك، يكفيك
الله رزقك ويجعل أضيق الأماكن أهناها، ويحيطك برحمته.

كن ساجداً بقلبك، وإن رفعت رأسك.

قل بنبضاتك: سبحان رب الأعلى، وإن كنت ضاحك
النغر.

اهمس بشرائينك: يا جابر المنكسرین اجبر کسری، ثم تأمل
في المعجزة وهي تشکل روحك من جديد!
اللهم اجبر کسر قلوبنا، وكسراً رواحنا، وكسراً أجسادنا،
إنك على كل شيء قادر.



الهادى

لا يهديك لأنك فلان ابن فلان، بل لأنك شاء أن يهديك!

﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾

الهادي

هل أكلتك الحيرة؟ هل تشعر أن عقلك أعجز من أن يحدد لك الصواب من الخطأ، هل عُرضت عليك وظيفتان لا تدري أيهما أنساب لك؟ هل تزاحمت في عقلك مميزات فتاتين لا تدري أيهما تتزوج؟ بل هل تعبت من درب الضياع وتريد أن يمن الله عليك بأن يدلّك إلى طريق النور والهداية؟ أنت إذن مهياً لبداية عهد جديد مع اسم الله «الهادي» ..

أنت تحتاج أن تتعّرف إلى هذا الاسم العظيم، أن تسترشد الهادي سبحانه ليوقف في نفسك جيوش الحيرة، ويهديك إلى الصراط المستقيم!

■ دفء

الهداية أصلها اللغوي يدل على الميل، وكأنّ الهداية ميل عن الخطأ إلى الصواب وعن الضلال إلى الرشد وعن التيه إلى الجادة.

فهو سبحانه يهديك، فيحرف مسارك عن الضلال إلى الرشد، وعن الغواية إلى الطريق الأقوم.

وكما أنه يهديك، فكذلك يهدي إليك!

فيوصل الأشياء التي بها قوام حياتك إليك: يوصل الماء إلى الأرض التي تقطنها، ويوصل الغذاء إلى المكان الذي تعيش فيه، ويوصل الهواء إلى رئتيك ..

وهو يهدي جميع خلقه هدایات متعددة بحسبهم وبحسب أحوالهم:

فالأعمى هدايته أن يسير على الطريق، وهداية الأصم أن يفهم ما يقال، وهداية العاجز أن يصل إلى مبتغاه ..

هداية الطفل أن يعده عمّا يضره ..

وهداية العجماءات أن يغرس في نفوسها ما فيه قوام حياتها، فتعلم مصالحها فتتأتياها، وتعلم مضارّها فتجتنبها، وتعلم المخاطر فتقاومها.

يهدي التائبين في الصحراري ..

ويهدي القارئ إلى موضع المعلومة ..

ويهدي المكتشف إلى الاختراع ..

ويهدي المجتهد إلى دليل المسألة ..

ويهدي الداعية إلى الأسلوب الأسلم ..
ويهدي الأب إلى الطريقة المثلثي في نصح ابنه ..

■ ليست صدفة!

يهديك بما تظنه صدفة: يهديك بآية تسمعها في صلاة،
ويهديك برؤيا تراها، ويهديك بنصيحة عابرة، ويهديك بكلمة تقع
عينك عليها في كتاب، ويهديك بتأمل، ويهديك بومضة غير
مبسوقة بتفكير، ويهديك بظروف تدفعك إلى الصواب، ويهديك
بالخوف، ويهديك بالحب، ويهديك بالموت!

أما سماع القرآن فأصل الهدىيات، ومن أعظم ما جعله الله
سبباً لهداية عباده، فقد ضمّن فيه كل أسباب الهدایة والرشد، قال
تعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰقِي هُنَّ أَقْوَمُ» فـيستحيل على
عالِمٍ عاملٍ بما في القرآن أن يصاب بزيف أو انحراف أو نكوص!
وقصة إسلام عمر بن الخطاب معروفة، فقد دخل على أخته
والشّرّ يتطاير من عينيه فلما قرأ في صحيفة معها أول سورة طه،
سجد قلبه في محراب الإيمان ولم يرفع حتى مات عليه السلام ..
تُرى ما هو الشعور الذي شعر به؟ وما هو اليقين الذي نزل
قلبه في تلك الساعة؟ وكم في القرآن من هدايات غمضنا عنها

طرف التدبر، وكم فيه من إرشادات انقلت عنها قلوبنا؟

■ لا .. ولا

ومن أشكال الهدایة أن ترى رؤيا فيها شفاؤك أو تحذير لك أو إرشاد، يقال إن أحدهم كان مريضاً فرأى في منامه أن علاجه في «لا» و«لا»، فذهب إلى شيخ يسأله فقال لا أدرى ولكنني أختم القرآن كل يومين، فأمهلني لعلى أجده شيئاً في القرآن أعتبر به رؤيتك، وبعد يومين جاءه وقال له شفاؤك في زيت الزيتون، قال تعالى في سورة النور: ﴿يُوَقِّدُ مِنْ شَجَرَقَةٍ مُّبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةً لَا شَرْقِيَّةً وَلَا غَرْبِيَّةً يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَعِّفُ﴾ فهذه هداية بروءيا.

ومن أنواع الهدایة التي تشبه الهدایة بالرؤى لما فيها من معنى الاستنباط والاستدلال بالشيء على شبيهه .. الاستثناء بعمل طاعات لها صفة قريبة من حال المرض!!

جاء رجل إلى أحد العلماء يستكفي الاستسقاء وهو مرض تجمّع بسيبه السوائل في جسم الإنسان وقد يودي بحياته، فأوصاه أن يحفر بئراً ويوقفها، فحفر البئر فبرئ بإذن الله! رأى هذا العالم تشابهاً بين انحباس السوائل في الجسد وانحباس الماء في الأرض، فظنّ أن هذه الطاعة (حفر بئر)

مشابهة لحال المرض ، وأن الشفاء قد يكون فيها ..

أحد الزملاء يخبرني أنه دَهَسَ ابنة أخيه ذات العامين بسيارته (الجِيب) وهو ذاهب إلى الصلاة دون أن يدرِّي ، فهُرِعَ بها والدها إلى المستشفى والموت يلوح بين عينيها ، والأطباء يخبرونه بأنّ نسبة موتها ثمانون في المائة !

فاتَّصل ابن عمّ لهم بزميلي مستخبراً وناصِحاً ، وأوصاه بسرعة ذبح شاة والتصدق بلحمةها بنية الشفاء ! ففعل ما أوصاه به ابن عمّه فلم يأتِ الفجر إلا وقد أخرجت تلك الطفلة من العناية الفائقة !!

هدَى الله سبحانه ابن العم إلى تناسب ما بين اللحم المتصدق به ، ولحم الطفلة المتهدَّك ، فكان الشفاء من الله أصدق من توقعات الأطباء !!

أما الهدَايَة بِنَصِيحةٍ عَابِرَةٍ : فيقال إنَّ مغْنِيَاً كان حسن الصوت مرّ به أحد الصالحين فقال له : ما أجمل صوتك ، يا ليته تغنى بالقرآن ، فتاب ذلك الرجل من حينه !

والهدَايَة بِنَصِيحةٍ أَوْسَعَ وأَوْضَعَ مِنْ أَنْ نَمَثِّلَ لَهَا .. وقد يهديك بالتأمّل ، ومن أوضح شواهد هذه الهدَايَة قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي عندما جَنَّ عليه الليل رأى كوكباً ،

والقصة معروفة فهنا تأملات في آيات الكون سبب هداية ويقيناً
له عليه الصلاة والسلام.

■ قبس من نور

يُبصر من علائه التائبين، يرى هضاب الضياع وقد التفت
من حول أرواحهم، فيشعل لهم في الليل قبساً من نوره، فيرون
به الطريق! ويصلون إلى الجادة.

لا يهديك لأنك فلان ابن فلان، بل لأنّه شاء أن يهديك!
﴿يَهِدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فتعرض يا صلاحك قلبك إلى
تلك المشيّة الغالية.

قد يهديك ثم لا تقوم بواجب تلك الهدایة من شكر وعمل
بمقتضها فيسليها منك، مثل ذلك الرجل الذي آتاه الله آياته
﴿فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾!

وقد يهديك فتشكره وتعمل بمقتضى الهدایة فيمنّ عليك
بهداية أخرى فتشكره وتعمل بمقتضها ثم يفضل عليك بهداية
ثالثة ورابعة، يجعل حياتك هدايات يمسك بعضها بعض ..

فهو لاء فتية الكهف هداهم بأن جعلهم مؤمنين، ثم هداهم
أيضاً بأن جعلهم صابرين على إيمانهم، ثم هداهم بأن دلّهم على

طريق النجاة، ثم هداهم بأن هيا لهم حالاً أنجاتهم بها؛ بأن ضرب على آذانهم في الكهف سنتين عدداً، قال عنهم سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ أَمَّا مَا وَرَأَيْتُهُمْ فَزَدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

■ بوصلة ضائعة

في وسط الصحراء المظلمة، لا تعلم أين تتجه، وعدم معرفتك هذه تعني الموت المحتم، لأنك بلا زاد ولا راحلة، وفجأة تجد شعوراً ملحاً يأمرك أن تتجه إلى اتجاه معين، ليس لديك معرفة بالنجوم، وبوصلتك ضائعة، ورفاقك سبقوك! فتجه إلى ذلك الاتجاه، وبعد تلاعب كثبان الصحراء بك، وإذا بعينيك تلمحان بصيص نور، إنهم رفاقك هناك، في آخر نقطة من الحياة يتظرونك بلهفة!

الآن حدثني عن ذلك الشعور؟ ما هي المعادلة التي جعلته يزغ في تلك اللحظة؟ ولماذا جاء؟ وكيف كان دقيقاً إلى هذه الدرجة؟

لقد كان الله في تلك اللحظة يبصر اضطراب الرعب في قلبك، لقد كان يسمع وجيف فؤادك، لقد علم تمثل الموت عطشاً في نفسك، فأذن لوميض داخلي أن يشتعل لتحس بالطريق، وتصل بسلام.

لا تتعلق بحرفية التجربة، فقد لا تكون عشتها، ولكنك
ولا شك عشت أنت أو من تعرفه أجواء قريبة من تلك الأجواء،
والسؤال الأهم من جميع التفاصيل: من الذي قذف الهدایة في
روح قلقة، محتاجة إلى بصيص؟

إنه الهادي سبحانه ..

وإذا العناية لاحظتك عيونها

نم فالحوادث كلهنْ أمان

وفي وسط تلاعب الموج بسفينتك، يأمر الريح فتكون
شمالية في تلك الساعة لأنّ جزيرة النجاة في الجنوب منك
ستتمزق أشرعة سفينتك لو لا تلك الرياح التي قدرها الهادي
 سبحانه.

يخرج ابن تيمية من بين البيوت وقد ازدحمت الأقوال في
رأسه حول تفسير آية، يقرأ عنها عشرات التفاسير، فلا تخلصه
تلك التفاسير من ضوضاء الحيرة، فيمرغ وجهه بالتراب ويبكي
ويقول: «يا معلم داود علمني ويا مفهم سليمان فهمني» فيعود
وقد تحددت الأقوال الراجحة في عقله بنور الهدایة الربانية!

إذا لم يكن عون من الله للفتى

فأ قول ما يقضى عليه اجتهاده



■ ثم هدى

وهدايته سبحانه لا تختص بالبشر بل هو يهدي جميع خلقه،
قال جل من قائل: «قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَنِي كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ ثُمَّ هَدَيْتُمْ» ..

يصف الشيخ محمد راتب النابلسي شيئاً من هذه الهدایات
فيقول: «يتوجه سمك السلمون من سواحل الأطلسي إلى مصبات
الأنهار في أمريكا، ويوضع بيوضه ويعود، بعد أشهر تخرج
الأسماك الصغيرة وتتجه مباشرة إلى حيث أمهاها؟ على بعد
مئات الكيلومترات! لا تضيع طريقها، من الذي هداها إلى الطريق؟
إنه الهادي سبحانه!»

أحدهم رأى قنفذاً يأكل أفعى ميتة ثم يتوجه إلى نبتة فياكل
منها ورقة، ثم يعود للأفعى فيقضى ثم للنبة فياكل، أراد ذلك
الشخص أن يعلم سر تلك النبتة فاقتلعها، عاد القنفذاً ليأكل ورقة
من النبتة فلم يجدها فلبيث يسيراً ثم مات!

من الذي هدى هذا القنفذاً إلى أن تلك النبتة تحمل خاصية
مضادة للسم الموجود في جسم الأفعى؟ إنه الله جل جلاله» ..

يهجم الذئب على الغزال فتحبني الغزال رأسها لينغرز قرنها
في رقبة الذئب، من الذي أعلمها أن فوق رأسها سكيناً حادة،

ومن الذي جعلها تعلم أنها بذلك الفعل ستنجوا؟ إنه الهدى
سبحانه ..

رأيت في طفولتي قطّتنا وأبنائنا . حديثي الولادة يزحفون
إليها عمياً، ثم يغرسون رؤوسهم في بطئها ويتحسّنون بأفواههم
حتى يجدون ثديها ويدّعون بشرب الحليب، من الذي أخبر تلك
الكائنات عديمة الخبرة والمعرفة أنها بذلك ستعيش وبدونه
ستموت؟ إنه الهدى سبحانه ..

■ المستنقع

ومن أعظم هدایاته إعادة خلقه إليه، ودلالة التائبين عليه،
وفتح أبواب التوبية لمن أذبل أرواحهم خريف الحوبة.
يخرج في ظلام الليل، ليعصي ملك الملوك، كل جوارحه
مندفعه للوصول إلى وحل المعصية، ولكن الله في تلك اللحظة
الحادسة يأمر الهدایة أن تصل إلى قلبه قبل أن يصل هو إلى
المستنقع، فإذا بكل ما بناه من أحلام سوداء ينهار فجأة، وتيار
فظيع يرجف به، كل شيء يتطاير من حوله، هناك شعور بكر
وطئ للتو ساحته، يلتفت إلى جهة أخرى، ليست جهة المستنقع
إنّها جهة تطلّ من بين منحنياتها منارة المسجد، فيبدأ عهداً مضيّاً
مع الهدى سبحانه.

■ ورقة!

إذا أراد هدایتك ، جعل ورقة ملقاة على الأرض تعىدك إليه!
مما يذكر أن رجلا كان يتربّح في سكك مدینته مخموراً ،
فرأى بعينين أذبلهما الخمرة ورقة ملقاة ، كُتب عليها اسم الله ،
فاعتصر فؤاده حباً وحزناً ، وقال باكيًا: اسم الله على
الأرض! فحمل تلك الورقة وذهب إلى بيته فنفظها وعَظَرَها
و قبلها ورفعها ، ثم نام ليسمع هاتفاً يقول له: رفعتَ اسمي؟
وعزّتني لأرفعنَّ اسْمِك ، فإذا به يستيقظ على الهدایة تملأ قلبه ،
ويتحول من رجل لا هدف له من هذه الحياة إلى رجل من
الصالحين المعروفين في التاريخ !!

وإذا أراد هدایتك أسمعك صوتاً يقول لك: اتق الله ،
فيستيقظ فؤادك !

فهذا أحد الثلاثة الذين أطبق عليهم الغار في القصّة النبوية
الشهيرة ، يحضر من وقت بعيد للفجور بابنة عمّه ، وتسوقها
الأقدار إليه في حاجة فييترّها ، وقبل لحظات من بدئه لمراده
البعض ، إذ بها تقول: اتق الله ولا تفْضُنَ الخاتِم إِلا بحَقِّه ،
فينهض فزعاً ، لم تدع «اتق الله» في قلبه شهوة إِلا وسحقتها!

■ حَبْلُ النَّجَاهِ

تكون في غمرة النسيان فيذكرك به، تكون في حومة المعصية فيو قظلك، تكون في وسط المستنقع فيطهرك، تكون في داخل الجب فيدلّي إليك حبلاً ..

يهديك بحب يغمر فؤادك، أو بخوف يزعزع استقرارك، أو بمرض يذلّ كبرياءك، أو بحاجة ترغم أنفك، أو بفقر ينقض ظهرك، أو بخواء يعذّب روحك .

يعيدهك إليه، إلى طريق الأنوار، يجعلك من رواد المسجد بعد أن كنت تنظر إليه من بعيد ولا تناولك هداياته من قريب، يعلم يديك كيف تمسكان بالمصحف بعد سنين طويلة من الهجر والصدود، يرّطب لسانك بذكره بعد أن كنت تترنّم بأغانٍ تافهة!

تخرج من بيتك قاصداً مسجداً وفجأة تغيّر الطريق إلى مسجد آخر، بعد الصلاة تسمع كلمة يلقاها أحد الدعاة تغيّر شيئاً كان مستقراً في قراره نفسك! يغيّر طريقتك أو حتى طريقك ..

والعبد صاحب الروح المرهفة يستنبط هدايات الله سبحانه، ويعلم أن الكون مربوب له سبحانه، وأن الله سبحانه قد يهديه بأي شيء في كونه، وقد يصله والعياذ بالله بأي شيء في كونه!

ولن يصل سبحانه إلا من أغلق قلبه عن الهدى ودين الحق.

إذن: ضياع هذه الحياة إن لم تأتك الهدایة من عنده ..

أتذكر مثال صحراء التيه آنفة الذكر، إن ضياعنا عن طريقه سبحانه، عن المسجد، عن الله أكبر، عن اللهم أنت السلام ومنك السلام، أعظم فظاعة من تيه الصحراء، وسنكون بذلك في غربة أقسى من غربة الطائر الذي فقد سريره في فصل الشتاء، فقررت الثلوج أن تتبلع أحلامه المحلقة!

اللهم ارزقنا هداية من عندك تتنشلنا من صحراء التيه، وتوصلنا إليك، وتدخلنا بها جنة عرضها السماوات والأرض.



الغفور

الذنوب ستفسد عليك حياتك،
ستقهر روحك، ستجعل الماء ذا نكهة غير مستساغة،
والطعام غير هنيء، الليل وحشة، النهار ملل ..

الغفور

إذا كنت قد تعبت من ذنوبك وخطايك، وشعرت أن شؤمها قد نُعَصَّ عليك حياتك، وأن ظلاماً وقتمة قد أطْفَأَت في عينيك بهجة أيامك وليليك، وأنك ما عدت تستلذ بصلاتك، ودعائك، وعبادتك؛ فاعلم أنَّ الوقت قد حان لتُدَلِّف إلى عالم الأنس والمغفرة، ملتَمِسًا معاني الغفران والتجاوز في اسم الله «الغفور»

..

أنت الآن بحاجة إلى أن تفهم معنى المغفرة، وكيف أنَّ ربيك غفور وغفار، ومدى حاجتك لهذه المغفرة في جميع أدوار حياتك ..

■ السجن

بلاء الروح بالذنب أعظم بكثير من بلاء الجسد بالمرض، روحك تأنَّ تحت وطأة العصيان، نعم قد يكون جسدك استلذ لحظة المعصية، ولكن روحك تجأر إلى الله!

تخيل أنك في سجن ضيق عرض كل جدار فيه متر واحد فقط، ما مقدار الاختناق الذي ستشعر به؟

الذنوب تجعل روحك في سجن شبيه بهذا السجن! إنها تحيط بك **﴿وَاحْتَطُ بِهِ حَطِيشَةً﴾** وتجعل روحك تخنق.

لو لم يكن هناك جنة ولا نار، الذنوب وحدها جحيم، وحديم، وعذاب أليم!

فإذا علمنا أنّ من أسمائه سبحانه الغفور والغفار والعفو وأن من صفاته أنه يغفر الذنوب، تبدأ جدران ذلك السجن الضيق تتصلّع.

■ هل تعلم؟

بالله قل: أستغفر الله ..

لا تقلها، فقط تأمل فيها: أستغفر الله ..

هل هناك ما هو أجمل من هذه الكلمة التي إن قلتها من قلبك تتناثر جميع الوساوس والهواجس والمخاوف؟

هل تعلم أن كل مصيبة من مرض أو هم أو حزن أو ألم هي بسبب معاصيك؟

اقرأ: **﴿وَمَا أَصَبَّكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيَكُمْ وَيَعْقُولُونَ عَنْ كَثِيرٍ﴾**.

لقد أصابتنا الغيبة والكذب والغش والحسد والاحتقار والعقوق والنظر إلى الحرام وتأخير الواجبات بقدر كبير من الآلام والهموم والأوجاع.

نذهب لنسكب ماء وجوهنا بحثاً عمن يقرضنا شيئاً من المال، ولعل تلك الحاجة إلى المال سببها ذنب اقترفناه، ولو قلنا: أستغفر الله بانكسار، لما احتجنا أن ننكسر لدى خلق الله! نبحث عن راق لنخبره عن الضيقة التي نشعر بها، والخوف الذي نعْص حياتنا، والتغيرات النفسية التي نشعر بها، ولعل ما أصابنا كان بسبب معصية ارتكبناها، ولو قلنا: أستغفر الله بقلب حيّ، بقلب تائب منيب ما احتجنا إلى كل ذلك!

■ وَغَدَرَاتِي؟

لم تظهر لي صفة المغفرة مائلة وبازرة كما ظهرت لي وأنا أقلب أوراق السيرة النبوية:

عمر بن الخطاب يفتن المسلمين عن دينهم، يمسك السوط بيده القوية ويلهب به ظهر جاريه ثم لما يتعب ينزل السوط ويقول: ما تركتك إلا ملالة!

كان المسلمون يعتقدون أن إسلام حمار الخطاب أقرب إلى

المعقول من إسلام عمر! لشدة عداوته للإسلام، وكرهه لهذا الدين، ثم يفتح له الغفور أبواب التوبة ليصبح: عمر الفاروق!
والسياط التي كان يحرق بها ظهور عبيده وإمامه؟ أين ذهب؟ لقد غفرها الله!

خالد بن الوليد يصعد على جبل الرماة في غزوة أحد ويُقتل بسببه عبد الله بن جبیر وصحبه الذين كانوا على جبل الرماة رض، بل يكون السبب في أعظم هزيمة يُمنى بها الجيش الإسلامي بقيادة النبي ﷺ، ويكون السبب في أن يُجرح النبي الله ويُشَحَّ رأسه وتكسر رباعيته وتدخل حلقة المغفر في وجهه الشريف.

يكون السبب في أن يدمي وجه النبي ﷺ وقد قال عليه الصلاة والسلام: «اشتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَىٰ قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ رَسُولِهِ»^(۱) ولكن الله ينزل: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ طَالِمُونَ»! ويكون خالد من تاب عليهم وغفر لهم !!

يسلم ، فيغفر له الغفور ، يمسح سبحانه كل تلك الطوام ..
ويتحوّل من السبب الأهم في هزيمة المسلمين في غزوة

(۱) أخرجه أحمد في مسنده (۲۶۰۹/۴-۳۶۹).

أحد إلى: سيف الله المسلول!
وتلك الدماء الزكية التي سفكها؟ وحلق المغفر؟ والدماء
النبوية الطاهرة؟ كل ذلك غفره الله!

رجل يأتي إلى رسول الله ﷺ، يأنّ قلبه مما اقترفه من آثام،
فيقول: أرأيْتَ رجُلاً عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتُرْكَ مِنْهَا شَيْئًا،
وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتُرْكَ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ
تُوبَةٍ؟ قَالَ رَسُولُ الرَّحْمَةِ: فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشَهُدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: نَعَمْ،
تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ وَتَتَرْكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلُّهُنَّ!
قَالَ: وَغَدَرَاتِي؟ وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: وَغَدَرَاتِكَ وَفَجَرَاتِكَ! ^(١)

■ هل نسيت؟

لماذا تعتقد أن ذنبك أعظم شيء في الوجود؟ هل نسيت أنه
الغفور الوودود؟

هل نسيت أنه يفرح بتوبتك؟

رأى الصحابة امرأة مذعورة في السبي تبحث عن ولدها،
فلما رأته ضمّته وقبلته حباً وشوقاً وخوفاً، فتعجب الصحابة من

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧٢٣٥/٧-٣١٤).

هذا الحب وهذا الفرح، فقال النبي ﷺ: «اللَّهُ أَشَدُ فَرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدٍ مِّنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»^(١)!

ما الذي تنتظره؟

قل أستغفر الله الآن ..

قلها بقلبك وروحك ولسانك، حتى ذنوبك التي تريد أن تقنعك أن المغفرة مستحيلة عليها اجعلها تقول: أستغفر الله، رغمًا عنها، اصرخ بأستغفر الله في وجданك، وأقسام من خلال صرختك تلك أن الغفور سيغفر لك، ليس لأنك صرخت، بل لأنّه الغفور الودود.

أبو سفيان بن حرب، صفوان بن أمية، عكرمة بن أبي جهل، عمرو بن العاص وغيرهم كثير، كانت ذنوبهم: شركاً بالله، ومحاربة للدين، وقتلاً للصحاباة، ثم يغمرهم الغفور الرحيم بمغفرته ليكونوا صحابة! أتدرى ماذا تعني كلمة (صحابة)? الصحابة تعني أفضل البشر بعد الأنبياء!

انظر ماذا فعلت المغفرة بعكرمة أو بصفوان أو بغيرهما؟
لقد حولته من: قاتل للصحاباة؟ إلى: صحابي جليل!
الإحساس بالذنوب وهي تحيط بك يجعل روحك تأنّ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٢٧٤٤ - ٤٢١٠٣).

وأفكارك تميل إلى اللون الأسود، وكلماتك متوتّرة جداً، فإذا ما اقتربت منها: أستغفر الله احترق الأنين والسواد والتوتّر.

■ طوبى ..

يغفر سبحانه بـ: أستغفر الله ..

ويغفر سبحانه بالتوبه: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَاصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ»

ويغفر سبحانه بالحسنات: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهَبُنَّ السَّيِّئَاتِ»

ويغفر بالبلاء: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَا لِهِ حَتَّىٰ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَىٰ وَمَا عَلَيْهِ حَاطِئَةٌ»^(۱) ..

أتعلم ما الذي ينبغي أن تكثر منه في هذه الحياة؟ ألا تملّ من ترداده؟ إنه الاستغفار!! قال نبيك عليه الصلاة والسلام: «طُوبى لِمَنْ وَجَدَ فِي كِتَابِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»^(۲) ..

ستفرح فرحا خالدا بالأعداد الكبيرة لاستغفر الله في صحيحتك ..

ستصرخ بأعلى صوت «هَامُّ افْرُوا كِتْبَتِي» ..

(۱) أخرجه الترمذى فى سنته (٢٣٩٩-٤٦٠٢).

(۲) أخرجه ابن ماجه فى سنته (٣٨١٨-١٢٥٤).

ستجد في عرصات يوم القيمة أصدقاءك فتفتح لهم كتابك
المليء بالاستغفار وتقول: انظروا، لقد استجاب الله لهذه
الاستغفارات الكثيرة فغفر لي!

لذلك فقد شُرع الاستغفار ليس بعد الذنب فقط! بل وبعد
الطاعة!!

ألا تستغفِر الله؟ حتى طاعاتك مليئة بالنقص الذي لا يرتقى إلا بالاستغفار.

■ لا تقنطوا ..

الغفور سَمِّي نفسه بالغفور لأنك بلا مغفرة ستختنق،
ستلتهمك الغصص، ستشعر بالاختناق الحقيقي، ستدمي البكاء.
إذا ظنت أن ذنبك أعظم، وأن الشيخ الذي استفتته في
ذنبك لم يتصور بعد التفاصيل السوداء لتلك الخطية العظيمة،
 وأنه أجايك على غير سؤالك، اسمع لربك الذي يعلم كل ذنب
سيقرفه عباده من لدن آدم وحتى قيام الساعة، يعلم بتفاصيل تلك
الذنوب وخطواتها وشناعة أمرها: «فَلْ يَعْبُدَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَيْهِمْ
أَنفُسُهُمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الْذُنُوبَ جَمِيعًا إِنَّمَا هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» ..

هل انتهت الوساوس الآن؟ الذي قال هذا الكلام يعلم عندما أنزل القرآن أنت في يوم كذا ستدنب ذنب كذا ومع ذلك قال لك: ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وذنبك لا شك من هذه الذنوب التي ليست أكبر من غفران الله ولا أعظم من رحمته سبحانه. المهم هو أن تسبق (أستغفر الله) بالإقلال عن الذنب، أن توقف: ﴿إِنَّمَا مَنْ يَعْمَلُ مِنْ حَسَنَةٍ يَرَهَا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

كيف تقول: اغفر لي خطئي، وأنت عاكف على الخطأ؟
كيف تمسح معصيتك ثم تعود لكتابتها من جديد؟ توقف ..
لتتصبح (أستغفر الله) صادقة، تستحق أن تفتح لها أبواب السماء.

■ أعظم مشيئة!

الله سبحانه شاء لك أشياء كثيرة:

شاء وجودك فوجدت، وشاء صحتك فصرت صحيحاً
معافياً، وشاءك عاقلاً وها أنت تعقل ما تقرأ وتسمع، ولكن أتعلم
ما هي أعظم مشيئة قد يمن الله بها عليك؟
أن يغفر لك!!

﴿وَوَلَلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْدِبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾!

ما أعظمها من مشيئة هذه التي تجعلك مؤهلاً لدخول الجنة
برحمة الرحيم سبحانه!

المغفور لهم تنزل بهم الأمراض كغيرهم، ولكنها لا تسلي
ابتساماتهم ..

المغفور لهم تصيبهم الضائق المالية كغيرهم، ولكنها
لا تنعكس رؤوسهم ..

المغفور لهم تدمع عيونهم، ولكنهم لا يأسون من روح الله
أبداً ..

ثم دع الهموم والأوجاع والأمراض جانباً:
المغفور لهم ينامون بالليل في طمأنينة، لأن أغرب توقع هو
أن يموتو؟ وماذا لو ماتوا؟ إنهم بلا ذنب يجعل الموت شبيحاً
مرعياً!

بالله أقرأ، بل استشعر:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَطْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ يَجِدُ اللَّهَ عَفْوًا رَّحِيمًا﴾

أليست مشتاقاً لأن تجد الله غفراً رحيمًا؟ استغفره إذن!!

■ الأجمل ..

الغفور عَلِمَ أن الذنوب ستفسد عليك حياتك، ستقهر روحك، ستجعل الماء ذانكة غير مستساغة، والطعام غير هنيء، والليل وحشة، والنهار ملل، والأقارب جحيم، والأصدقاء شكوك، وتفاصيل الحياة وهم، والنوم اختناق، والوحدة بكاء، فقال لك: ﴿أَفَلَا يَتُبُونَ إِلَّا اللَّهُ وَيَسْعِفُهُمْ﴾
أليس هذا أجمل بحالهم؟ ألم يملوا الْكُرُبَاتُ التي بعضها فوق بعض؟ ألم يستيقظوا للاحتسال الذي يخرج من القلب؟ إذن لماذا لا يستغفرون له؟

■ لا تندهن!

والغفور يغفر دائمًا، ويغفر بكرم، ويغفر ما لا يغفره البشر،
ويغفر بإدھاش !
يغفر دائمًا :
فيغفر ما بين الصلاة والصلاحة وما بين العمرة والعمرة وما
بين رمضان ورمضان وما بين الحج والحج إذا ما اجتنبت
الكبير !

فصارت بذلك حياة العبد كلها ما بين مغفرة ومغفرة، وعفو

وعفو ، وتجاوز وتجاوز !

تخيل : تصلي الفجر ، ثم تذهب إلى عملك فتندّ منك
تجاوزات وذنوب -دون الكبائر- ثم تحسن الوضوء لصلاة الظهر
وتصلي صلاة تامة فما تقول : السلام عليكم ورحمة الله إلا وقد
انغسلت من ذنبك كلّها ، وهكذا صلاة بعد صلاة ! ماذا كنّا
سنفعل لو لم يكن ربّنا غفوراً؟

ويغفر بكرم :

فيغفر كل الذنوب بصيام يوم واحد في السنة !
ويغفر كل الذنوب بأن تقول : سبحان الله وبحمده .. مئة
مرة ! أي في دقيقتين تساقط عنك ذنب سبعين سنة ! أفي الكرم
مثل هذا ؟

ويغفر ما لا يغفره البشر :

فيغفر ذنب بغي كل حياتها ذنب ومعاصٍ بأن سقت كلّها
ماء !

ويغفر بإدهاش :

فمن ذلك ما حصل لمن حضر غزوة بدر فقد اطلع عليهم
ربّهم وقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم !
كل الذنوب التي عملوها أو سيعملونها : مغفورة !

وكان من اطلع الله عليه في غزوة بدر حارثة بن سراقة، غلام خرج معهم مساعداً لا مقاتلاً، فكان في المعركة من النّظارة الذين يشاهدون المعركة من بعيد، فقام إلى حوض الماء ليشرب فأتاه سهم غرب (طائش) أصاب نحره فقضى عليه، فلما عاد النبي ﷺ إلى المدينة استقبلته أم حارثة فقالت له: يا ربِ الله ألا تُحدِّنني عنْ حارثة فإنْ كانَ في الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وإنْ كانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، فقال النبي ﷺ: «يا أمَّ حَارِثَةٍ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وإنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعُلَى»^(١).

قال ابن كثير: وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر، فإن هذا الذي لم يكن في بُحْيحة القتال، ولا في حومة الوغى، بل كان من النّظارة من بعيد، وإنما أصابه سهم غرب، وهو يشرب من الحوض، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس الأعلى ... فما ظنك بمن كان واقفاً في نحر العدو».

■ ابدأ ..

ابداً عهداً جديداً مع اسم الغفور، افرح لأنّه يغفر الذنوب، وسارع في الاستغفار، وطلب هذه المغفرة باتباع أوامره واجتناب

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٠٩ - ٤٢٠).

نواهيه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْبِونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يَعِبْدُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبُكُمْ
وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

اللهم اغفر ذنبنا كلها ، دقتها وجلها ، أولها وآخرها ،
واعملنا من يجدون في صحائفهم استغفارا كثيرا .



القريب

قال لي صديقي مرة قبل أن يخرج من زيارتي في غرفتي
بإسكان الجامعة: اكتب لي في هذه الورقة كلمة
لأقرأها وأنا عائد إلى غرفتي، فكتبت له: إنه يراك الآن ..
أخبرني فيما بعد أنه فُجع بها!!

القريب

أُشعر بالوحشة؟ هل خذلك صديفك الحميم؟ هل تحسّ أن
يُبيِّنك ويبين أعز الناس حجاباً مستوراً، فلم يعد يفهمك كما كان
من ذي قبل؟ هل روحك تأنّ شوقاً إلى حبيبٍ تبتَّ إليه لوعجه؟
ما رأيك أن تدع هذا الحبيب، وذلك الصديق، وتنصرف
إلى الذي لا يجفو من أتهام مقترباً؟

الله الذي هو أقرب إليك من جبل الوريد، والذي ستغدو
حياتك أنساً وسعادة معه، له اسم عظيم، موغل في الجمال،
مكلل بالبهاء، اسم «القريب» .. فلتتعرف على معاني هذا الاسم
لنشتهر قربه منا، ولنتذوق طعم مناجاته في ليالي الوحشة ..

■ يا الله!

في الوقت الذي يريدهك أن تعلم أنه على العرش استوى،
يريدك أن تتيقن أنه أقرب إليك من جبل الوريد!
يسمع كلماتك، ويرى أفعالك، ولا تخفي عليه منك خافية.

دخل الرسول ﷺ المسجد فإذا بصحابته الكرام يدعون ربهم
بأصوات جهيرة مرتفعة، فقال: «اْرِبَعُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا
تَدْعُونَ أَصْمَمَ وَلَا غَائِيَا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا»^(١).
بمجرد أن يتنهى العبد من الدعاء إذ بالإجابة تلوح، لأنّه
قريب بدرجة لا يتصورها العقل!

تضيع دابة أحدهم فيمشي مبهوتاً فيراه إبراهيم بن أدهم
فيسأله فيقول: ضاعت دابتي، فيقف إبراهيم ويقول: يا الله، لن
أمشي خطوة حتى تعيد لهذا دابته، فإذا بها تظهر من منحني
الطريق!

■ من أجلك ..

يخبرني صاحبي أنه دخل المسجد وما زال أثر ماء الوضوء
في أذنيه فاتجه إلى الصف الأول مقابل جهاز التكيف مما جعل
الهواء البارد يدخل إلى أذنيه على أثر الماء، بعد ساعة شعر
ببداية ألم في أذنه، لم يفتح شفتيه وإنما قال بقلبه: يا الله، كان
ذلك من أجلك، فإذا بالألم يرتفع هكذا بدون مقدمات وبلا
تدرج!

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٠٥/٥-١٣٣)، ومسلم في صحيحه (٤-٢٧٠٤). (٢٠٧٦)

أيّ قرب هذا الذي يعلم معه ما تحدث به نفسك دون أن
تحرّك به شفتيك؟

وأقرب ما تكون إليه وأنت ساجد، تتمتّم بـ(سبحان ربِي
الأعلى)، فإذا بالسماءات تنفتح لتمتك، وإذا بالجبار يسمعك!

لا تتوهم أنه بعيد، أو أنه تخفي عليه منك خافية ..

يخرج رسول الله ﷺ في جوف الليل، ويذهب ليطرق باب
أبي بن كعب، فيخرج أبي، فإذا برسول الله يخبره: أمرني الله
أن أقرأ عليك الفاتحة، يقول أبي بذهول: وسمّاني؟ فيقول نعم،
فيبيكي أبي!^(١)

■ دبيب النملة ..

قريب من جميع خلقه، يراهم ويحميهم ..

كيف يكون قيّوما على خلقه لو لم يكن قريبا منهم؟

كيف يكون ربّا، إلا وهو قريب؟

وقربه ﷺ قرب علم وقرب سمع وقرب بصر وقرب إحاطة،
لَا قرب ذات، لأنّ ذاته العلية متنزّهة عن مثل هذا القرب.

(١) أخرج القصة البخاري في صحيحه (٤٩٦٠/٦-١٧٥)، ومسلم في صحيحه (٧٩٩). ١٥٠/١

من قربه أَنَّه ينزل كما صَحَّ عن نَبِيِّنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الْصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ فِي الثَّلَاثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيلِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ:
«هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَجِيبْهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ
فَأَغْفِرْ لَهُ»^(١)

وَمِنْ قربه أَنَّه يسمع دَبِيبَ النَّمَلَةِ السُّودَاءِ عَلَى الصَّفَةِ
الصَّمَّاءِ، فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ.

يَقُولُ تَعَالَى: «وَمَا نَسْقُطَ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا»
تَخِيلُ عَدْدِ الْأَشْجَارِ، ثُمَّ عَدْ أُوراقَهَا، تَخِيلُهَا وَهِيَ تَنَاثِرُ
فِي فَصْلِ الْخَرِيفِ، يَعْلَمُهَا كُلُّهَا: يَعْلَمُ عَدْدَهَا وَأَشْكَالَهَا وَأَنْوَاعَهَا
وَكُلُّ شَيْءٍ يَخْصُّهَا!

تَأْتِي امْرَأَةٌ تَجَادِلُ فِي زَوْجِهَا، وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي طَرْفِ الْبَيْتِ
تَقُولُ إِنَّهَا تَسْمَعُ كَلْمَةً وَتَغْيِبُ عَنْهَا كَلْمَةً، وَبَعْدَ ذَلِكَ الْجَدْلِ يَنْزَلُ
جَبَرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ أَنَّهُ تَجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا
وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَهِهِ يَسْمَعُ حَمَارَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَيِّعُ بَصِيرَهُ».

يَا لَهُ مِنْ قَرْبٍ عَجِيبٍ، وَعِلْمٌ عَظِيمٌ، وَسَمْعٌ مُحِيطٌ، وَبَصَرٌ
نَافِذٌ ..

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (٥٢٢/١-٧٥٨).

■ يراك الآن!

مُدّ يدك الآن، أمدتها؟ لقد رأها! يجب أن تؤمن بذلك!

قال لي صديقي مرّة قبل أن يخرج من زيارتي في غرفتي
بإسكان الجامعة: اكتب لي في هذه الورقة كلمة لأقرأها وأنا
عائد إلى غرفتي، فكتبت له: إنه يراك الآن، أخبرني فيما بعد أنه
فُجِّعَ بها!!

قربه يخيفك، يجب أن يخيفك ..

وقربه يؤنسك، يجب أن يؤنسك ..

وقربه يدفعك، يجب أن يدفعك ..

وقربه يجعلك شجاعاً شامخاً بطلاً ..

استمع إليه وهو يهدئ من روع موسى ﷺ عندما أعلن
خوفه من الذهاب إلى فرعون فقال له: ﴿إِنَّى مَحْكُمٌ أَسْمَعُ
وَأَرَى﴾ هذا يكفي، كونه معهما أكبر حماية لهما ..

لأنه معهما يجب ألا يخافا من فرعون، يجب أن يكونا
شجاعين بطلين شامخين.

ومما قرر في كتب العقيدة أن لله معيتين: معيّة خاصة بأهل
ولايته، وهي معيّة محبّة ونصرة وتوفيق، ومعيّة عامة لجميع
خلقه، وهي معيّة علم وسمع وبصر وإحاطة.

فكانت معينه لموسى وهارون معية خاصة تقتضي النصرة وال توفيق، فكيف يخافان وقد وعدهما الله بنصرته و توفيقه لهم؟

وكل من قام بما قام به موسى وهارون من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على علم و هدى ستكون له معية من الله تعالى بحسب الإيمان الذي في قلبه و بحسب امثاله لأمر ربه، لذلك فإن كل أمر بالحق ناء عن الباطل تجد فيه من القوة والشجاعة والثبات والتوفيق ما يجعلك تكاد تجزم أن المعية الخاصة تحوطه و تؤيده.

■ ابتسם ..

ومن أجل الآيات وأكثرها أنسا في هذا الباب قول الحق:
﴿الَّذِي يَرَكَ حِيَانَ تَقُومُ وَنَقْلُبَ فِي السَّجَدَتَيْنِ﴾
فما هو مقدار الأنس الذي ستشعر به وأنت تقول: الله أكبر مصليا لله .. إذا أخبرك سبحانه أن رؤية خاصة ستحققها بهذا العمل، لأنك سبحانه يرى كل الخلق، الذي يقوم والذي لا يقوم، فدل هذا على أن رؤية القائم لله في صلاته رؤية خاصة لا عامة: رؤية فيها الحب والقبول والإجابة والمغفرة ..

قل مثل ذلك عن الحديث الذي في البخاري، قال رسول الله ﷺ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنِيٍّ حَسَنَ الصَّوْتِ

يَتَعَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ^(١) والأذن الاستماع ..

يقول ابن كثير: «ومنه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة النبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو يَتَعَنَّى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «سبحان الذي وسع سمعه الأصوات» ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَلْتُوا مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ».

إذا صفتوك المخاوف فابتسم، وتذكري قربه منك سبحانه ..
فكل الأشياء التي تخاف منها، ليست أقرب إليك منه!
وإذا التأممت حولك الخطوب فتفاءل! وشتتها بفكرة أن الله أقرب
إليك من حبل الوريد!

مما يذكره بعض الوعاظ قديماً: أن أحدهم كان مسافراً في الصحراء فإذا بقاطع طريق حاملاً سيفه يريد قتله، قال له: خذ مالي، فقال: لا، أريد أن أقتلك ثم آخذ مالك، فاستأذنه في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤١/٩-٧٤٨٢)، ومسلم في صحيحه (٧٩٢-٥٤٥/١).

ركعتين فأذن له: قال نسيت كل القرآن ولم أذكر إلا: ﴿أَمَّنْ يُحِبُّ
الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ رددتها وما أنهيت الصلاة إلا
وفارس لا أدري من أين ظهر يضرب ذلك الرجل ضربة بسيفة
يطير منها رأسه!

■ سبحانك!

إنه القريب، فقط حرك شفتوك بذكره، تفتح أبواب
السماءات لصوتك.

كان يونس عليه السلام في بطن الحوت ينادي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فكان الصوت الضعيف
المنطلق من الظلمات الثلاث يخترق أجواز الفضاء لسماعه
ملائكة السماءات فتقول للرب سبحانه: «صوت معروف، من
مكان غير معروف»!

يقول الله في الحديث القدسي: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِيهِ،
ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلِإِ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلِإِ خَيْرٍ
مِنْهُمْ»^(١) لأنَّه قريب .. فقط قل يا الله، يكون الرد بأن يذكُر اسمك!

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢١/٩-٧٤٠٥)، ومسلم في صحيحه (٢٦٧٥-٢٠٦١/٤)

ما أَجَلٌ أَنْ تَخْيِلَ أَنْ مَلِكُ الْمُلُوكِ هَذِهِ اللَّحْظَةِ يَقُولُ
اسْمَكَ! يَقُولُ: عَبْدِي فَلَانَ بْنُ فَلَانَ ذَكْرِنِي!
الْدُّنْيَا كَلَّهَا تَافِهَةَ، لَا تَسَاوِي مِثْلَ هَذَا التَّخْيِيلَ ..

وَقَرِبَهُ هَذَا يَزِيدُ، فِي التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ وَالطَّاعَاتِ تَزِيدُ قَرِبًا مِنْهُ
يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيِّ: «إِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي شَبِيرًا تَقَرَّبَتْ مِنْهُ
ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبَتْ مِنْهُ بَاعًا»^(١) فَكُلُّ مَحَاوِلَةٍ
اقْتِرَابٍ مِنْكَ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ يَعْقِبُهَا اقْتِرَابٌ مِنْهُ إِلَيْكَ بِالْقَبُولِ
وَالْأَفْضَالِ وَالنِّعَمِ وَالْعَطَايَا وَالْهَبَاتِ.

■ وَصَلَتْ إِلَيْهِ ..

وَمِنْ مَعَانِي قَرِبَهُ أَنَّهُ يَرِيكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ حَوْلِكَ مَعْنَى
يُذَكِّرُكَ بِهِ:

فَتَرَى حَكْمَتَهُ فِي دَقَّةِ تَرْكِيبِ مَخْلُوقَاتِهِ ..
وَتَرَى قَدْرَتَهُ فِي رُفعِ سَمَاوَاتِهِ بِلَا عَمَدَ ..
وَتَرَى رَحْمَتَهُ فِي إِنْزَالِ المَطَرِ وَإِنْبَاتِ الشَّجَرِ ..
وَتَرَى عَظَمَتَهُ فِي شَمْوَخِ الْجَبَالِ ..

(١) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (١٢١/٩-٧٤٠٥)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (٢٦٧٥)- (٤/٦٢٠).

وترى عذابه في البراكين والزلزال والكوارث ..

يقول تعالى: ﴿سَرِّيهِمْ إِيمَانُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبْيَنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَحَقُّ﴾

إذا أبصرت شيئاً بعينيك فبصرك يذكرك بالبصیر سبحانه ..

وإذا سمعت همساً في دجى الليلـي فسمعك يذكرك بالسمـيع
سبحانه ..

وإذا علمت شيئاً من خفي العلم فعلمك يذكرك بالعلـيم
سبحانه ..

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

ذات مرّة كنت جالساً مع مجموعة من الأبناء أحدهم عن
التفكير في خلق الله، فقال أحدهم: «إذا تفكّرت في مخلوقاته
وصلت إليه»!! توافت مندهشًا، شعرت أن هذا الطفل يفهم هذه
المعاني أكثر منّا، وأنه ينبغي أن يستمع إليه أكثر من أن يستمع
إليّ!

قريب لا تحتاج حتى تصل إليه إلا أن يخطر ببالك، أن
تشعر بقربه، أن تحسّ بأنّه يراك، ثم تقول: يا الله ..

■ إذا سألك ..

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادٍ عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

أي شخص يسألك عن الله فأول شيء تصف ربك به هو أنه قريب منه! النفوس مفطورة على عدم استعدادها لعبادة رب بعيد، لا يسمع دعاءها، ولا يرى حاجاتها، فمن أهم الصفات التي تبتدر بها الذي يريد التعرف إلى الله أن تخبره أن ربه «قريب» هكذا علمك سبحانه أن تخبر عنه!

وهذا القرب علاوة على أنه يجعلك تحبه، وتأنس به، وتخشاه، إلا أنه فوق ذلك يجعلك تدمن على استغفاره والتوبة إليه، فالقريب من جهة يستحق أن يستغفر ويتاب إليه لأنّه بقربه اطلع على كل غدراتك وفجراتك، ومن جهة أخرى فهو قريب قرباً يجعل استغفارك وتوبتك ناجعة، فلن يغفر لك إلا من سمع استغفارك ولن يتوب عليك إلا من علم توبتك، فهو القريب المجيب، وبعد هذا تأمل قوله سبحانه: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثُوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾

ومن نوادر التعابير التي تصيبك بالحياة من القريب سبحانه قول أحدهم: «ألا يستحق أن تحبه؟ في اللحظة التي تغلق الباب على نفسك حتى تعصيه، يدخل لك الأكسجين من تحت الباب حتى لا تموت»!

وهذا القرب يقابلها محاولة تقرب من العبد إليه سبحانه:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبٌ﴾ إِنَّهُ مضمار المسارعة، والمسابقة، والتي لا يكون قصارى رغبة العبد فيه أن يكون قريباً بل أن يكون الأقرب!

■ من بين الأدخنة ..

وفي أجواء المحن التي تعيشها الأمة، ومن بين أدخنة الحروب المهلكة التي تمسّ أفتدة المؤمنين بالألواء، يحتاج المؤمن هناك إلى ثلاث مستويات معرفية متعلقة باسم القريب:

الأول: معرفة قربه سبحانه إيماناً ويقيناً، ليريح نفسه من عناء الصراخ والاستجاد بالبشر، فرب البشر قريب شهيد مطلع، فيجد في القرآن آية تقول له بكل وضوح: ﴿إِنَّمَا سَمِيعُ قَرِيبٍ﴾، فيلقي عند أعتابها حُرقات روحه المكلومة، وكل ما سبق يصب في خانة هذا المستوى المهم.

الثاني: ومن بين لهيب القهر، ورؤيه تفاصيل الشتات، وتهدم البيوت، وموت الأنفس، وهلاك الثمرات، ي يريد رحمة، يبحث عن رحمة، يتمني رحمة تنهي عذابات خذلان الإخوة، وطعنات الغدر المتواتلة، فيقف عند قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يا الله! إذن ليس بين ذلك

المجاهد المغوار الذي نذر روحه للجبار إلا ستار شفيف تلوح من خلفه مخايل الإحسان، فقط يحتاج أن يجاهد في الأرض بطريقة ملائكية يشعر فيها أنه يرى الله! فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه، فلا يطلب رصاصة إلا ولديه جواب عن لماذا وكيف ومتى أطلقها! ولا يزال العبد ينتقل من إحسان إلى إحسان، وتكون في المقابل رحمة الله أقرب إليه من غيره، حتى تغشاه الرحمة من كل مكان، تنزعه من أدخته الموت إلى سحائب الرضا.

الثالث: وتطول الأيام، وتتوالى الزفرات، وتشتد البلاءات، ويُحكم الحصار من كل مكان، وعند ذلك تطلّ روح المجاهد على آية ثالثة يقول فيها الحق: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ فكما أنه قريب سبحانه من عباده، وكما أن رحمته أيضاً قريبة من المحسنين منهم، يأتي النصر القريب من جند الله ﴿وَإِنَّ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَنِيَّةُ﴾ فيربط الله بذلك على قلوب أضناها الانتظار، وأرهقها الاصطبار، فييتظرون هذا النصر القريب من ليل أو نهار.

■ الله ..

الله .. واضربت دموعي خشية
أرحم أنين الحب في دموعاتي

الله .. والتهب الفؤاد حرائفاً
ارحم لهيب الحب في نبضاتي
الله .. واندفعت حروف في لهفة
ارحم شعور الحب في أبياتي ..

وبعد هذه السياحة التفكيرية في اسم الله القريب، أسأل الله
أن يجعلنا من يستحضر قربه، ويعمل وفق ما يملئه هذا الاسم
الأعظم من معاني الذل والإخبات والمراقبة والخشية، وطلب
الرحمة والنصرة منه وحده ..

اللهم يا قريباً من دعاك ورجاك، اكتب لنا قريراً من رحمتك
وهدايتك، قريراً تؤنسنا به، وتذهب عن أرواحنا وعثاءها،
وتدخلنا به الجنة.

الخاتمة

وبعد ..

فقد عرفت شيئاً عن بعض أسمائه ..
فعليك أن تتزود بمعرفة المزيد عنها وعن غيرها ..
وأن تجعلها نبراس حياتك، وهداية قلبك، ونور أيامك ..
لتحوز على سعادة الدنيا والآخرة ..

ولي رجاء: إن خفف هذا الكتاب عنك ألمًا، أو رسم على
ثغرك ابتسامة، أو غير حalk إلى الأحسن فلا تنس كاتبه، ومن
أفاده، ومن أعاذه، ووالديهم وجميع المسلمين من دعوة بظهر
الغيب ..

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ..

علي جابر الفيفي

الكتّابات

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء
٧	مقدمة
١١	الصَّمد
١٣	في ظلال الصَّمدَيَّة
١٥	أمواج
١٦	أفكار الريف
١٧	الكتاكي卜
١٨	وتنساه
٢٠	اصمد إليه
٢١	البوصلة
٢٢	فرغ قلبك من غيره
٢٤	خطوات
٢٥	شموخ
٢٦	حقيقة

الصفحة	الموضوع
	الحفيظ
٢٩	
٣١	أيها القلب اطمئنْ
٣٣	طرقات الزيف!
٣٤	وننسى الله!
٣٦	المعقبات
٣٧	ما بين القوسين
٣٨	قارورة
٤٠	أعظم وأكثر وأكبر
٤١	يدافع عنك
٤٣	وديان السابع
٤٥	أنا الفقير
٤٦	يا غلام
٤٨	اختناق
٥١	اللَّطِيفُ
٥٣	خفّي الألطاف
٥٥	نسيم اللطف
٥٧	الصخرة
٥٨	الخفايا والخبايا
٦٠	الأحلام البعيدة

الصفحة	الموضوع
٦٢	لطف اللحظة الحاسمة
٦٥	الشافي
٦٧	لا مرض بعد اليوم
٧٠	يشفيك بلا سبب!
٧٢	لا تدري!
٧٣	وعاد النور
٧٤	عد إليه
٧٦	موعد مسبق
٧٨	ضع نقطة
٨٠	الرضا
٨٢	أنهار الذنوب
٨٥	الوكييل
٨٧	فاتحذه وكيلًا
٨٩	خطّة سنوية
٩١	انكسر له
٩٣	الدموع المبتسمة!
٩٤	أكسجين الحياة
٩٥	الحياة جحيم بدونه
٩٦	حسبي الله

الصفحة	الموضوع
٩٨	سبب مقنع
٩٩	احذر
١٠١	أشياء تهددك
١٠٣	الشكور
١٠٦	إذا أعطاك أدهشك
١٠٧	مسألة حسابية
١٠٨	واذكر في الكتاب
١١٠	مثقال الذرة
١١٢	أنفق أنفق عليك
١١٤	وافعلوا الخير
١١٦	اسكت
١١٧	إلى أين؟
١١٨	انتشال
١٢١	الجبار
١٢٣	قلبك المهشم كيف تهشم؟
١٢٥	واجربني
١٢٦	واحلل عقدة من لساني
١٢٧	يحبك مبتسماً
١٢٨	العربة

الصفحة	الموضوع
١٣٠	٨٣
١٣١	حجرة الخادم
١٣٢	الحلم والذكرى
١٣٤	فنجان قهوة!
١٣٥	كن ساجداً
١٣٧	الهادي
١٣٩	دفء
١٤١	ليست صدفة!
١٤٢	لا ولا
١٤٤	قبس من نور
١٤٥	بوصلة ضائعة
١٤٧	ثم هدى
١٤٨	المستنقع
١٤٩	ورقة!
١٥٠	حبل النجاة
١٥٣	الغفور
١٥٥	السجن
١٥٦	هل تعلم؟
١٥٧	وغرّاتي؟

الصفحة	الموضوع
١٥٩	هل نسيت؟
١٦١	طوبى
١٦٢	لا تقنطوا
١٦٣	أعظم مشيئة!
١٦٤	الأجمل
١٦٥	لا تندهش!
١٦٧	ابداً
١٧٩	القريب
١٧١	يا الله!
١٧٢	من أجلك
١٧٣	دبب النملة
١٧٥	يراك الآن!
١٧٦	ابتسم
١٧٨	سبحانك!
١٧٩	وصلت إليه
١٨١	إذا سألك
١٨٢	من بين الأدخنة
١٨٣	الله
١٨٥	الخاتمة